البحث الواحد والعشرون

قصـــــة
هـــــاروت ومـــــاروت
بين الإنكار والثبوت
دراسة نقدية فى ضوء كتب المفسرين وأقوال العلماء المعتبرين .

ا.د/أبو عمر نادى بن محمود حسن الأزهرى
رئيس قسم التفسير بكلية الدراسات الإسلامية بأسوان
وعميد كلية البنات الأزهرية بطيبة الأقصر – وأسوان

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

المقدمة :

إن الحمد لله . . نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره . . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . . من يهد الله فهو المهتد . . ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً . . وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له . . وأن محمداً عبده ورسوله . . وبعد :

فمنذ زمن ليس ببعيد ، ومن خلال قراءاتى القاصرة ، وقر فى ذهنى أن قصة هاروت وماروت التى حشد أصحاب التفسير النقلى أخبارها عند تفسير آية سورة البقرة : (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ)[البقرة :١٠٢] ، أنها أسطورة من أساطير الأولين ، وأن أخبارها لاتقوم أمام ميزان النقد العلمى ، مجاراةً لمن أنكرها ، وقد أثبتُّ ذلك فى بعض مؤلفاتى التى تُعْنى بالجانب النقدى لمرويات التفسير النقلى ، بيد أننى مع القراءة المتكاملة لما اكتنف القصة من مرويات واعتراضات ، رأيت أن العلماء المحققين غير متفقين على قبول أخبار القصة أو ردها ، وإنما اختلفت أقوالهم وتباينت مواقفهم تجاهها ، بين منكرٍ لها ، ومؤيد لقبولها ، واجتهد كل من الفريقين لإثبات صحة ماذهب إليه ، والناظر فى النصوص المتعلقة بأقوال العلماء وآرائهم فى هذا المقام ، وإلى يومنا هذه ، يلاحظ أن البون بينهم كان شاسعاً ، والخلاف كان كبيراً حول تقويم الروايات ، سواء كانوا مفسرين أو محدثين ، فقهاء أو متكلمين ،إلى حدٍ تشعر معه من خلال عبارات بعضهم أنها كانت معركة حامية الوطيس ، اجتهد كل منهم لتأييد مدعاه فى ثبوت القصة أو نفيها . وقبول القصة أو ردها . وعبارات كثير منهم تشى أنهم مشايعون مقلدون ، لامحققون متفحصون ، شايعوا من قبلهم دون تحرير وتأمل . وبعضهم يقيم إشكالات لاتنهض دليلاً للمعارضة ،

فلا عمق فى التحليل ولادقة فى التحقيق . والعجب أن يأتى من بعده ليحاكيه فيما قال ، ودون أن يضيف شيئاً ،و كأنهم تواصوا بذلك ! .

هذا على الرغم أن قصة هاروت وماروت تحتاج إلى نظرة متأنية قبل الحكم عليها بالإنكار أو الثبوت ، وتتطلب الوقوف عند ماوُجِّه إليها من انتقادات ، وتفحص أخبارها ، وسبر أغوارها ، والتمعن فى ألفاظها ، بعين فاحصة ، وعقلية حاضرة ، وفكرٍ مجرد ، قد يمكِّن الباحث المنصف من قبولها أو ردها على وجه اليقين ، أو إيجاد نقاط التقاء بين المنكرين والمثبتين ؛ ومن ثم . . كان هذا البحث محاولة لسبر أغوار المرويات التفسيرية لقصة هاروت وماروت ، واستجلاء حقيقتها ، واستظهار أى الفريقين كان أصوبَ فى تقويمه وأسدَّ فى توجيهه ، ومهما تكن النتيجة التى أتوصل إليها من خلال هذا البحث بقصور باعى وقِلَّت إطلاعى ، يبقى جهد المحاولة فى البحث عن الحقيقة ، والرغبة المخلصة فى إنشاد الصواب ، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها ، والمجتهد مأجور ، جانبه الصواب أو حالفه ، وأرجو الله تعالى السداد والتوفيق ، إنه خير مسئول ونعم المجيب ، وصلى الله على البشير النذير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلف

ا.د/أبو عمر نادى بن محمود حسن الأزهرى

بين يدى البحث .

ورد ذكر اسمى " هاروت وماروت " فى القرآن الكريم فى موضع واحد وآية واحدة فقط فى سورة البقرة ، قوله تعالى:

(وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ١٠٢)[البقرة:١٠٢] ، فاليهود لما نبذوا كتاب الله تعالى وراء ظهورهم ، واعتقدوا بعد موت سليمان – عليه السلام – أن السحر منه ، وأن انتظام ملكه على الإنس والجن والطير والوحش والريح إنما كان به ، نفى الله تعالى ذلك عنه ، فقال :(وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ ..) الآية ([1])، وابتلاهم الله تعالى بمطالعة كتب السحر ، واتباع السحرة ، وكذلك من لم يتبع الحق اتبع الباطل ، ومن أعرض عن كتاب الله ابتلى بكتاب الشيطان ([2]) .

وهاروت وماروت اسمان أعجميان ، وهو الصحيح الذى صوبه الأكثرون ، ولو كانا مشتقين من الهرت والمرت كما زعم بعضهم لما منعا من الصرف.([3])

ولقد تضاربت أقوال المفسرين وغيرهم فى تفسير الآية ، واختلفوا فى

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للبقاعى(٧٥/٢)
(٢) انظر تفسير مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار للشهر ستانى(٤٨٢/١)
(٣) انظر تاج العروس(٩٤/٥-١٤٠) مادة[مرت-هرت] وتفسير المنار(٤٠٨/١) والهرت : كثرت الكلام فى الهذر ، والمرت : الصفا من الصخرة . وقد روى الطبرانى فى الأوسط(٢٧٢٤) عن ابن عباس قال : كان اسم هاروت وماروت وهم فى السماء " عَزْرا ، وعُزَيْراً " . وفيه ضعف .

معناها اختلافاً بيناً ، وجمهور المفسرين على أن هاروت وماروت ملكان من ملائكة السماء . ([1])

ومنشأ تصديهما لتعليم الناس السحر كما أفادت بعض الروايات ، أنه لما كثر السحرة الذين تتلمذوا على أيدى الشياطين فى عهد سيدنا سليمان ، وادعوا النبوة وتحدوا الناس بالسحر ، أنزل الله ملكين من ملائكته الكرام وهما هاروت وماروت ليعلما الناس ماهو السحر ، فيتمكنوا من تمييز السحر من المعجزة ، ويتبين كذب السحرة فى دعواهم النبوة ، ولكى لايلتبس على بعض الناس حالهم ، فإن السحر يعارض بسحر أقوى منه ، فقد يبُطل السحر ساحر آخر ، وهذا من أحسن الأغراض والمقاصد ([2]).

واستظهر ابن عاشور أن ليس المراد بالإنزال (وماأنزل على الملكين) إنزال السحر ، إذ السحر أمر موجود من قبل ، ولكنه إنزال الأمر للملكين أو إنزال الوحى أو الإلهام للملكين أن يتصديا لبث خفايا السحر بين المتعلمين ليبطل انفراد شرذمة بعلمه . وأن الحكمة من تعميم تعليمه ؛ أن السحرة فى بابل كانوا قد اتخذوا السحر وسيلة لتسخير العامة لهم فى أبدانهم وعقولهم وأموالهم ، ثم تطلعوا منه إلى تأسيس عبادة الأصنام والكواكب ، وزعموا أنهم – أى السحرة – مترجمون عنهم وناطقون بإرادة الآلهة ، فحدث فساد عظيم وعمت الضلالة ، فأراد الله تعالى على معتاد حكمته إنقاذ الخلق من ذلك فأرسل أو أوحى أو ألهم هاروت وماروت أن يكشفا دقائق هذا الفن للناس حتى يشترك الناس كلهم فى ذلك ، فيعلموا أن السحرة ليسوا على ذلك ،

---

(١) انظر : التفسير الوسيط للشيخ محمد سيد طنطاوى (٢٢٨/١) . وصح ذلك عن على بن أبى طالب بسند حسن عند ابن أبى حاتم رقم(١٠٠١). وانظر الدر(٢٣٩/١) .

(٢) انظر : تفسير ابن جرير(٤٢٦/٢)البيضاوى(٧٩/١) غرائب القرآن للنيسابورى(٢٨٥/١)وأبى السعود (١٣٨/١) وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة(ص٢٦٦)والزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمى(١٧٣/٢) الكبيرة العشرون بعد الثلثمائة . ودروس للشيخ الألبانى(١٨/٧)

ويرجع الناس إلى صلاح الحال .

وقيل : هاروت وماروت ملكان أنزلهما الله تعالى تشكلاً للناس يعلمونهم السحر لكشف أسرار السحرة ؛ لأن السحرة كانوا يزعمون أنهم آلهة أو رسل ، فكانوا يسخرون العامة لهم ، فأراد الله تعالى تكذيبهم ، ذباً عن مقام النبوة ؛ فأنزل ملكين لذلك (١) .

وإلى هذا ذهب أكثر المفسرين كما يقول القاضى عياض ، وقرره الرازى وزاد عليه وجوهاً عدة فى سبب الإنزال ، وصحح البغوى التأويل بأن الله تعالى امتحن الناس بالملكين فى ذلك الوقت ، فمن شقى يتعلم السحر منهما ويأخذه عنهما ويعمل به فيكفر ؛ لأن العمل به كفر ، أو باعتقاد أنه حق مغنٍ عما جاء عن الله تعالى ، أو أن السحر مؤثرٌ بنفسه ، ومن سعد يتركه فيبقى على الإيمان ، ويزداد المعلمان بالتعليم عذاباً ، ففيه ابتلاء للمعلم والمتعلم،ولله أن يمتحن عباده بما شاء ، فله الأمر والحكم . (٢) .

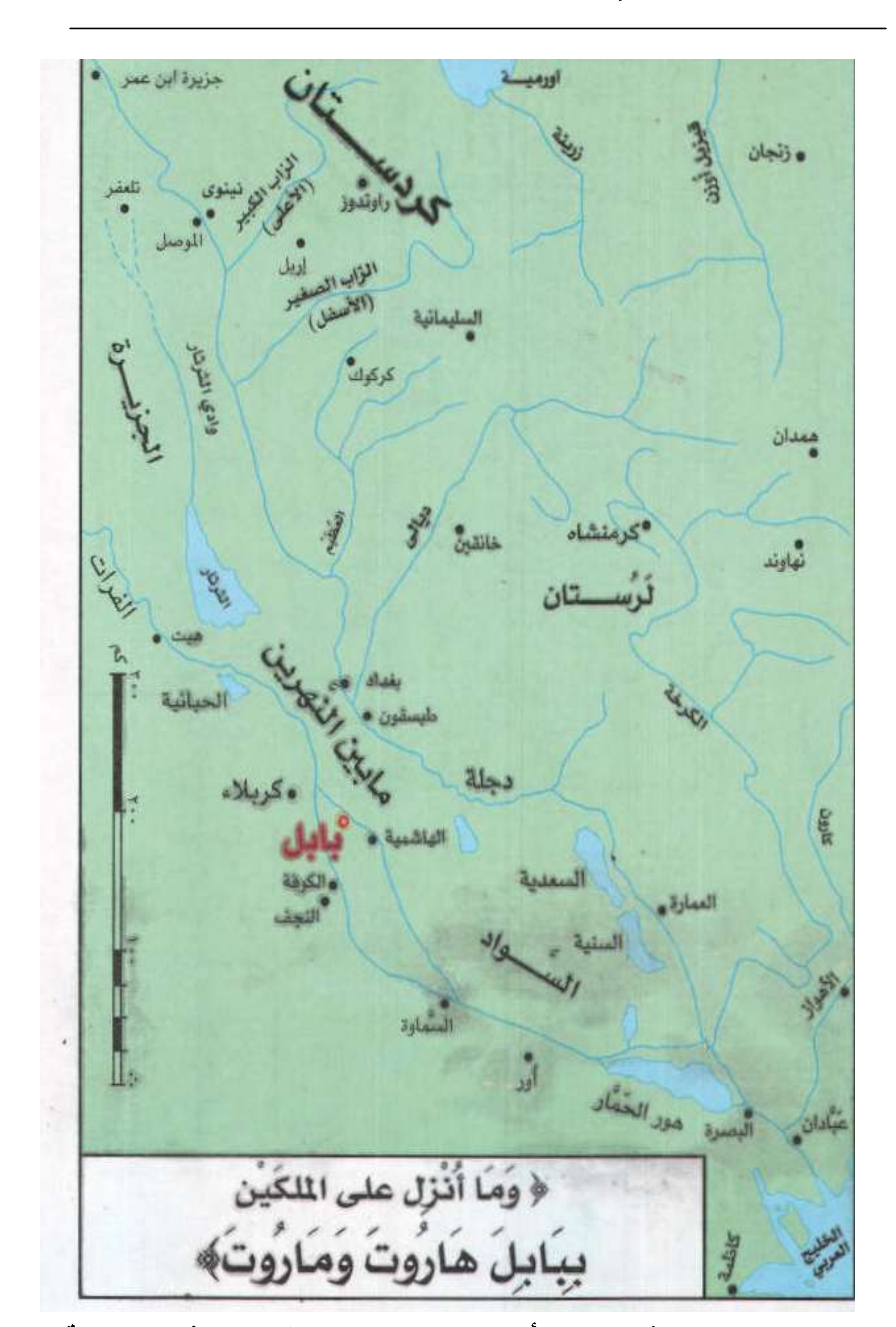
واختصت بابل بالإنزال؛ لأنها كانت أكثر البلاد عملاً بالسحر، وكان سحرتها قد اتخذوا من السحر وسيلة لتسخير العامة لهم، ثم جروهم إلى عبادة الأصنام والكواكب فحدث فساد عظيم،وعمت الأباطيل ، فألهم الله تعالى هاروت وماروت أن يكشفا للناس حقيقة السحر ودقائقه،حتى يعلموا أن السحرة الذين صرفوهم عن عبادة الله إلى عبادة الكواكب وغيرها قد خدعوهم وأضلوهم، وبذلك يعودون إلى الصراط المستقيم . (٣) .

وبابل المذكورة فى الآية هى بابل العراق ، والدليل على ذلك ماروه أبو داود وغيره عن أبى صالح الغفارى قال : إن علياً – رضى الله عنه – مرَّ

(١) انظر : الشفا للقاضى عياض(١٧٥/٢) تفسير الرازى(١٧٠/٢-٢١٩/٣)التحرير والتنوير(٦٤٠/١)
(٢) انظر : تفسير البغوى(١٢٩/١) ونظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للبقاعى(٧٨/٢)
(٣) انظر : تفسير الوسيط للشيخ محمد سيد طنطاوى(٢٢٨/١)

ببابل ، وهو يسير ، فجاءه المؤذن يؤذن لصلاة العصر ، فلما برز منه أمر المؤذن فأقام الصلاة ، فلما فرغ قال : إن حبيبى ﷺ، نهانى أن أصلى بأرض بابل ، فإنها ملعونة "(1) .

(1) سنن أبى داود (٤٩٠-٤٩١)البيهقى(٤٥٢/٢)ابن أبى حاتم (١٠٠٣)، وأورده ابن كثير فى تفسيره وقال : وهذا الحديث حسن عند الإمام أبى داود ؛ لأنه رواه وسكت عليه ، ففيه من الفقه كراهية الصلاة بأرض بابل ، كما تكره بديار ثمود الذين نهى رسول الله ﷺعن الدخول إلى منازلهم ، إلا أن يكونوا باكين .



صورة توضح موقع بابل بأرض مابين النهرين(بلاد الرافدين :دِجلة والفرات) .

الدراسات السابقة لقصة هاروت وماروت :

اعتنى بعض العلماء بقصة هاروت وماروت فأفردوها بالتصنيف ، منهم :

– العلامة الشيخ / عبد الغنى النابلسى(١٠٥٠هـ) له مصنف وسمه ب : " برهان الثبوت فى تبرئة هاروت وماروت" (١)

–وهناك كتاب بعنوان : " القول المثبوت فى قصة هاروت وماروت " لمحمد حجازى بن محمد بن عبد الله ، الشهير بالواعظ القلقشندى الشافعى (ت:١٠٣٥هـ) (٢)

هذا مأأمكن الوقوف عليه من مصنفات فى هذا المقام ، ولعل هناك مصنفات أخرى حول قصة هاروت وماروت ، لم تشر إليها الكتب المعنية بالتراجم ، أو لم تسعف القراءة المتواضعة من معرفتها والوقوف عليها . بيد أن هناك مؤلفاً لمكى بن أبى طالب (ت:٤٣٧هـ) بعنوان : " تنزيه الملائكة عن الذنوب وفضلهم على بنى آدم " (٣)، ويترجح الظن أن قضية هاروت وماروت كانت مركز الحديث أو أهم محاور الكتاب

(١) انظر : هدية العارفين(٥/٥٩٠)

(٢) إيضاح المكنون(٢/٢٥٢) وانظر : إيضاح المكنون(٣/١٩) وهدية العارفين(٦/٢٧٤)

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان(٥/٢٧٥)

المبحث الأول

عرض لمرويات قصة هاروت وماروت فى كتب التفسير:

قصة هاروت وماروت وردت فى كتب التفسير وغيرها من طرق كثيرة منها المرفوع والموقوف والمقطوع ، وكل طرقها لم تسلم من النقد عند من أنكر القصة ، لذا سأكتفى فى عرض مرويات القصة بما جاء فيها من المرفوعات والموقوفات على الصحابة – رضى الله عنهم – ؛ لأنه إذا لم تسلم هذه من الطعن ، فالمقطوع عن التابعين من باب أولى ؛ لأن المرسل من أنواع الضعيف، ولو صح سنده لايصلح للإعتماد عليه فى الغيبيات ، لاسيما أن غالب مرويات التابعين فى هذا المجال تلقوها عن مسلمة أهل الكتاب،وهاأنذا أستعرض المرفوع ثم الموقوف فى القصة، مع الإشارة إلى مصادرها، وتقويم العلماء لها .

ماجاء من الأحاديث المرفوعة فى قصة هاروت وماروت :

١- نقل السيوطى فى " الدر المنثور " ماأخرجه البيهقى من رواية موسى بن جبير عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر مرفوعاً قال :

" أشرفت الملائكة على الدنيا ، فرأت بنى آدم يعصون ، فقالت : يارب ، ماأجهل هؤلاء ! ماأقل معرفة هؤلاء بعظمتك ! فقال الله : لو كنتم فى مِسْلاخهم (١) لعصيتمونى . قالوا : كيف يكون هذا ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ ، قال : فاختاروا منكم ملكين . فاختاروا هاروت وماروت ، ثم أُهبطا إلى الأرض ، ورُكِّبَت فيهما شهوات بنى آدم ، ومُثِّلت لهما امرأة ، فما عُصِما حتى واقعا المعصية ، فقال الله تعالى : اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة . فنظر أحدهما إلى صاحبه ، قال : ماتقول ؟

فاختر . قال أقول : إن عذاب الدنيا ينقطع ، وإن عذاب الآخرة لاينقطع .

(١) المسلاخ : الهدى والطريقة كما فى النهاية لابن الأثير مادة[سلخ]

فاختارا عذاب الدنيا ، فهما اللذان ذكر الله فى كتابه : (وَمَآ أُنزِلَ عَلَى المَلكيَن بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ ...) الآية. (١) .

٢- وله طريق أخرى من رواية موسى بن جبير عن نافع عن ابن عمر أنه سمع النبى ﷺ يقول : " إن آدم لما أهبطه الله إلى الأرض ، قالت الملائكة : أى رب ، أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال : إنى أعلم مالاتعلمون . قالوا : ربنا ، نحن أطوع لك من بنى آدم . قال الله تعالى للملائكة : هلموا ملكين من الملائكة حتى يهبطا بهما إلى الأرض ، فننظر كيف يعملان . قالوا : ربنا ، هاروت وماروت . فأهبطا إلى الأرض ، ومُثِّلَت لهما الزُّهْرَة ، امرأة من أحسن البشر ، فجاءتهما فسألاها نفسها ، فقالت : لا والله حتى تتكلما هذه الكلمة من الإشراك . فقالا : لا والله ، لانشرك بالله شيئاً ، فذهبت عنهما ، ثم رجعت بصبى تحمله ، فسألاها نفسها ، قالت : لا والله حتى تقتلا هذا الصبى ، فقالا : لا والله لانقتله أبداً ، فذهبت ثم رجعت بقدح من خمر ، فسألاها نفسها ، فقالت : لا والله حتى تشربا هذا الخمر ، فشربا ، فسكرا ، فوقعا عليها ، وقتلا الصبى ! ، فلما أفاقا ، قالت المرأة : والله ماتركتما شيئاً مما أبيتماه علىَّ إلا قد فعلتماه ، حين سكرتما ، فخيرا بين عذاب الدنيا والآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا " . (٢) .

---

(١) رواه البيهقى فى الشعب رقم(١٦٣) وعزاه فى الدر(١/٥١٠) للبيهقى فقط . وفى سنده محمد بن يونس بن موسى وهو الكديمى البصرى ، ترجم له الذهبى فى الميزان(٨٣٥٣) وقال : أحد المتروكين . وقال البيهقى عقب الرواية : ورويناه من وجه آخر عن مجاهد عن ابن عمر موقوفاً عليه وهو أصح ، فإن ابن عمر إنما أخذه عن كعب)اهـ .

(٢) رواه أحمد(٢/١٣٤) واللفظ له ، البزار(٢٩٣٨-كشف) وعبد بن حميد (منتخب-٧٨٧)ابن حبان(٦١٨٦)(موارد-١٧١٧)ابن السنى عمل اليوم والليلة(٦٥٧) البيهقى السنن(١٠/٤) والشعب (١٦٢) ابن أبى حاتم فى العلل رقم(١٦٩٩) ابن أبى الدنيا فى العقوبات رقم(٢٢٢)جميعهم من طريق زهير بن محمد عن موسى بن جبير عن نافع – به . إلا أن لفظ ابن أبى حاتم وابن السنى مختصر ، ومن طريق أحمد أخرجه الخلال فى

٣-وله متابع من وجه آخر عن نافع :

رواه ابن مردويه من طريق سعيد بن سلمة حدثنا موسى بن سرجس عن نافع عن ابن عمر سمع النبى ﷺ يقول : . . . فذكره بطوله ([1]) .

٤- وله متابعة أخرى من طريق معاوية بن صالح عن نافع قال :

سافرت مع ابن عمر ، فلما كان آخر الليل ، قال : يانافع ، طلعت الحمراء ؟ قلت : لا ، مرتين أو ثلاثاً ، ثم قلت : قد طلعت . قال : لامرحباً بها ولاأهلاً ! قلت : سبحان الله ، نجم ساطع مطيع ! . قال : ماقلت لك إلا ماسمعت من رسول الله ﷺ ، أو قال : قال لى رسول الله ﷺ : " إن الملائكة قالت : يارب ، كيف صبرك على بنى آدم فى الخطايا والذنوب ؟ قال : إنى ابتليتهم وعافيتكم . قالوا : لو كنا مكانهم ماعصيناك . قال : فاختاروا ملكين

=

العلل(١٩٤-المنتخب) وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد(٦٨/٥) وقال : رجاله رجال الصحيح خلا موسى بن جبير وهو ثقة . وأورده فى موضع آخر من المجمع(٣١٣/٦) وذكر نحو قوله هذا . ونقل الخلال عن الإمام أحمد قوله : هذا منكر ، إنما يُروى عن كعب " . ونقل ابن أبى حاتم عن أبيه قوله : " هذا حديث منكر " . وقال البزار : رواه بعضهم عن نافع عن ابن عمر موقوفاً ، وإنما أتى رفع هذا عندى من زهير ؛ لأنه لم يكن بالحافظ ، على أنه قد روى عنه ابن مهدى ، وابن وهب ، وأبو عامر ، وغيرهم)اهـ .كذا قال البزار ، وتابعه على قوله البيهقى فى السنن ، وهذا عجيب من البيهقى لأنه روى لزهير متابعاً فى الشعب من طريق سعيد بن سلمة ، فزهير لم ينفرد برفعه بل تابعه سعيد ابن سلمة بن أبى الحسام القرشى العدوى ، روى له مسلم واستشهد به البخارى وروى له حديثاً ، وضعفه النسائى وقواه ابن حبان كما فى تهذيب الكمال(٢٢٨٨) والكاشف(١٩٠٠). والتهذيب(٢٣/٢)وقال الحافظ فى التقريب(٢٣٢٦) : " صدوق صحيح الكتاب ، يخطئ من حفظه ". وقال ابن كثير فى التفسير بعد أن ذكر الحديث من رواية موسى بن جبير : رجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين إلا موسى بن جبير هذا . . . وهو مستور الحال ، وقد تفرد به عن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر عن النبى ﷺ)اهـ .كذا قال ، والرواية السابقة تدفع قول ابن كثير ، فموسى لم يتفرد به من هذا الوجه وإنما رواه عن سالم عن ابن عمر رفعه . كما فى رواية البيهقى لكن فى سنده الكديمى . وموسى بن جبير قال الذهبى فى الكاشف(٥٧٨١) " ثقة " .

(١) قاله ابن كثير فى التفسير(٥٢٤/١) وقال عن هذا الإسناد والذى يليه : " غريبان جداً " وقال الألبانى فى الضعيفة رقم(١٧٠) : موسى بن سرجس لايبعد أن يكون هو الأول ، اختلف الرواة فى اسم أبيه

منكم ، فلم يألوا أن يختاروا ، فاختاروا هاروت وماروت ، فنزلا ، فألقى الله تعالى عليهم الشَّبق " . قلت : ومالشبق ؟ قال : الشهوة (١) . قال : " فنزلا ، فجاءت امرأة يقال لها الزهرة ، فوقعت فى قلوبهما ، فجعل كل واحد منهما يُخفى عن صاحبه مافى نفسه ، فرجع إليها أحدهما ، ثم جاء الآخر ، فقال : هل وقع فى نفسك ماوقع فى قلبى ؟ قال : نعم ، فطلباها نفسهما ، فقالت : لاأمكنكما حتى تعلمانى الاسم الذى تعرجان به إلى السماء وتهبطان . فأبيا . ثم سألاها أيضاً ، فأبت ففعلا ، فلما استطيرت مسخها الله كوكباً وقطع أجنحتها ! ثم سألا التوبة من ربهما ، فخيرهما ، فقال : إن شئتما رددتكما إلى ماكنتما عليه ، فإذا كان يوم القيامة عذبتكما ، وإن شئتما عذبتكما فى الدنيا ، فإذا كان يوم القيامة رددتكما إلى ماكنتما عليه . فقال أحدهما لصاحبه : إن عذاب الدنيا ينقطع ويزول ، فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة ، فأوحى الله إليهما أن ائتيا بابل ، فانطلقا إلى بابل فخُسِف بهما ، فهما منكوسان بين السماء والأرض ، معذبان إلى يوم القيامة . (٢) .

٥-وهناك طرق أخرى عن على رفعه :

"...وأما الزهرة فكانت بنتاً لبعض الملوك من بنى إسرائيل، افتتن بها هاروت وماروت "(٣) .

---

(١) والشبق : اشتداد الشهوة للأنثى . المعجم الوسيط مادة[شبق]

(٢) رواه الخطيب فى تاريخ بغدادعند ترجمة سنيد رقم(٤٠٥٢) ومن طريقه ابن الجوزى فى الموضوعات (٢٩٥/١) رقم(٣٨٩) ورواه ابن جرير(١٦٨٨) مختصراً كلهم من طريق الحسين بن داود ولقبه ستيد قال : حدثنا الفرج بن فضالة عن معاوية بن صالح عن نافع _ به . وأعله ابن الجوزى والشيخ شاكر فى تعليقه على الطبرى بفرج بن فضالة . قال ابن الجوزى : هذا حديث لايصح ، والفرج بن فضالة قد ضعفه يحى ، وقال ابن حبان : يقلب الأسانيد ، ويلزق المتون الواهية بالأسانيد الصحيحة ، لايحل الإحتجاج به ، وأما سنيد فقد ضعفه أبو داود ، وقال النسائى : ليس بثقة . وأعله الذهبى فى الميزان(٢٣٦/٢) بسننيد وأن الحديث مما أنكر عليه .

(٣) رواه ابن مردويه كما فى اللألئ المصنوعة (١٤٤/١) وقال السيوطى : " موضوع " . وانظر تنزيه الشريعة (١٧٧/١) والدر المنثور(٥٣٢/١) و كنز العمال رقم(١٥٢٥٤)

-وعن على مرفوعاً : " لعن الله الزهرة ، فإنها هى التى فتنت هاروت وماروت " . (1)

هذه هى الطرق المرفوعة للقصة ، والطريق الأولى انفرد بها البيهقى .

(1) رواه ابن راهويه ، المطالب العالية (٣٨٩٣) وابن مردويه كما فى تفسير ابن كثير عقب رقم(٥٢٧)وقال : هذا لايثبت من هذا الوجه ، ورواه ابن مردويه من طريقين آخرين ... وهذا أيضاً لايصح ، وهو منكر جداً . وقال السيوطى فى اللآلئ(١٤٦/١) : لايصح ، مداره على جابر الجعفى وهو كذاب . وضعفه فى الجامع الصغير (٧٢٥٩) وانظر معجم الطبرانى الكبير(٦٦/١) والموضوعات لابن الجوزى(١٨٨/١) و كنز العمال رقم(١٧٦٥٢) والسلسلة الضعيفة للألبانى(٩١٣) .وهناك رواية عند الحكيم الترمذى فى النوادر رقم(١٤١) من طريق أبى الدرداء الرهاوى عن عبد الله بن بسر المازنى مرفوعاً : " اتقوا الدنيا فوالذى نفسى بيده ، إنها لأسحر من هاروت وماروت " .وسكت عنه السيوطى فى الجامع الصغير(١٤٥) وقال الذهبى فى الميزان(٥٢٢/٤) : لايدرى من أبو الدرداء . ورواه ابن أبى الدنيا فى " ذم الدنيا " رقم(١٣٢) والبيهقى فى الشعب(١٠٥٠٤) عن أبى الدرداء الرهاوى مرسلاً وقال الذهبى فى الميزان : هذا منكر لاأصل له. وانظر السلسلة الضعيفة للألبانى رقم(٣٤)

.بيان الموقوفات من الروايات فى قصة هاروت وماروت :

١- عن مجاهد قال : كنت نازلاً على عبد الله بن عمر فى سفر ، فلما كان ذات ليلة ، قال لغلامه : انظر هل طلعت الحمراء ؟ لامرحباً بها ولاأهلاً ، ولاحياها الله ؛ هى صاحبة الملكين ؛ قالت الملائكة : يارب ، كيف تدع عصاة بنى آدم ، وهم يسفكون الدماء الحمراء ، ويفسدون فى الأرض ؟ ! . قال : إنى ابتليتهم ، فلعلى إن ابتليتكم بمثل الذى ابتليتهم به فعلتم كالذى يفعلون ؟ . قالوا : لا . قال : فاختاروا من خياركم اثنين ، فاختاروا هاروت وماروت ، فقال لهما : إنى مهبطكما إلى الأرض ، وعاهد إليكما : ألا تشركا ، ولاتزنيا ، ولاتخونا ، فأهبطا إلى الأرض ، وألقى عليهما الشهوة ، وأهبطت لهما الزُّهْرَة فى أحسن صورة امرأة ، فتعرضت لهما ، فراوداها عن نفسها ، فقالت : إنى على دين، لايصح لأحد أن يأتينى إلا إذا كان على مثله. قالا : ومادينك ؟ قالت : المجوسية . قالا : الشرك . ! هذا شئ لانقربه . فمكثت عنهما ماشاء الله تعالى ، ثم تعرضت لهما ، فراوداها عن نفسها . فقالت : ماشئتما ، غير أن لى زوجاً ، وأنا أكره أن يطلع على هذا منى ، فأفتضح ، فإن أقررتما لى بدينى ، وشرطما لى أن تصعدا بى إلى السماء ، فعلت . فأقرا لها بدينها وأتياها فيما يريان ، ثم صعدا بها إلى السماء ، فلما انتهيا بها إلى السماء ، اختطفت منهما ، وقطعت أجنحتهما فوقعا خائفين ، نادمين ، يبكيان ، وفى الأرض نبى يدعو بين الجمعتين ، فإذا كان يوم الجمعة أجيب . فقالا : لو أتينا فلاناً فسألناه ، فطلب لنا التوبة ، فأتياه ، فقال : رحمكما الله ، كيف يطلب التوبةَ أهلُ الأرض لأهل السماء ؟! . قالا : إنا ابتلينا . قال : ائتيانى يوم الجمعة . فأتياه . فقال : ماأجبت فيكما بشئ ، ائتيانى فى الجمعة الثانية . فأتياه ، فقال : اختارا ، فقد خيرتما ، إن اخترتما معافاة الدنيا وعذاب الآخرة ، وإن أحببتما فعذاب الدنيا وأنتما يوم القيامة على حكم

الله . فقال أحدهما : إن الدنيا لم يمض منها إلا القليل . وقال الآخر : ويحك ، إنى قد أطعتك فى الأمر الأول ، فأطعنى الآن ، إن عذاباً يفنى ليس كعذاب يبقى . فقال : إننا يوم القيامة على حكم الله ، فأخاف أن يعذبنا . قال : لا ، إنى أرجو إن علم الله منا أنا قد اخترنا عذاب الدنيا مخافة عذاب الآخرة ، ألا يجمعهما علينا . قال : فاختارا عذاب الدنيا ، فجعلا فى بكرات من حديد ، فى قليب مملوءة من نار ، عاليهما سافلهما . ([1]) .

وساقه ابن كثير فى التفسير وقال : هذا إسناد جيد إلى عبد الله بن عمر – ثم ذكر أنه روى مرفوعاً ، ثم قال – : "وهذا – يعنى طريق مجاهد – أثبت وأصح إسناداً)اهـ .

٢–ورواه سعيد بن منصور عن مجاهد مختصراً بلفظ :

كنت مع ابن عمر –أحسبه قال: فى سفر – ، فقال لى : ارْمُق لى الكوكبة ، فإذا طلعت أيقظنى ، فاستوى جالساً ، فجعل ينظر إليها ويسبها سباً شديداً ! . فقلت : يرحمك الله أبا عبد الرحمن ، نجماً سامعاً مطيعاً ، ماله يسب ؟ فقال : ها ، إن هذه كانت بغياً فى بنى إسرائيل ، فلقيا الملكان منها مالقيا . ([2]).

٣–ورواه الحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عمر ، بنحو سياق مجاهد مع الاختلاف فى بعض الألفاظ ، وسياق مجاهد أتم ([3]).

٤ –وله طريق رابعة عن سالم عن أبيه عن كعب الأحبار قال:

ذكرت الملائكة أعمال بنى آدم ومايأتون من الذنب ، فقيل لهما : اختارا

(١) رواه ابن أبى حاتم فى التفسيررقم(١٠٠٧) وقال الحافظ فى العجاب(٣٢٣/١) : سنده صحيح . وهذه متابعة قوية لرواية موسى بن جبير عن نافع ، لكنها موقوفة على ابن عمر لم يضفها إلى النبى ﷺ .

(٢) سعيد بن منصور(تفسير-٢٠٦) وقال محققه : سنده حسن لذاته ، وهو صحيح لغيره عن ابن عمر موقوفاً

(٣) رواه الحاكم(٦٠٧/٤) وتعقبه الذهبى بقوله : يحى بن سلمة بن كهيل قال النسائى : متروك ، وقال أبو حاتم : منكر الحديث

ملكين . فاختارا ملكين ، فاختاروا هاروت وماروت . قال : فقال لهما : إنى أرسل رسلى إلى الناس ، وليس بينى وبينكم رسول ، انزلا ولاتشركا بى شيئاً ، ولاتزنيا ، ولاتسرقا ، .

قال عبد الله بن عمر : قال كعب :

فما استكملا يومهما الذى أنزلا فيه حتى عملا ماحرم الله عليهما . (1) .

قال ابن كثير فى التفسير : فهذا – يعنى طريق سالم – أصح وأثبت إلى عبد الله بن عمر من الإسنادين المتقدمين ، وسالم أثبت فى أبيه من مولاه نافع ، فدار الحديث ورجع إلى نقل كعب الأحبار عن كتب بنى إسرائيل ، والله أعلم)اهـ . (2)

٥–وأخرجه سعيد بن منصور من رواية خُصَيْف قال :

كنت مع مجاهد ، فمر بنا رجل من قريش ، فقال له مجاهد : حدثنا ماسمعت من أبيك . قال : حدثنى أبى أن الملائكة حين جعلوا ينظرون إلى أعمال بنى آدم ومايركبون من المعاصى الخبيثة – وليس يستر الناس من الملائكة شئ – فجعل بعضهم يقول لبعض : انظروا إلى بنى آدم كيف يعملون كذا وكذا ، ماأجرأهم على الله ! . يعيبونهم بذلك . فقال الله عزوجل لهم : قد سمعت الذى تقولون فى بنى آدم ، فاختاروا منكم ملكين أهبطهما إلى الأرض ، وأجعل فيهما شهوة بنى آدم . فاختاروا هاروت وماروت ، فقالوا : يارب ، ليس فينا مِثْلُهُما ، فأُهبطا إلى الأرض وجُعل فيهما شهوة بنى آدم ، ومُثِّلت لهم الزُّهْرَة فى صورة امرأة ، فلما نظرا إليها ، لم يتمالكا أن تناولا

---

(١) رواه عبد الرزاق فى التفسير(٥٣/١) ومن طريقه وطريق مؤمل بن اسماعيل أخرجه ابن جرير(١٦٨٤)ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف(٣٥٣٥٥)وابن أبى حاتم (١٠٠٦) ابن أبى الدنيا فى العقوبات رقم(٢٢٤)البيهقى فى الشعب(١٦٤) جميعهم من طريق سفيان الثورى عن موسى بن عقبة عن سالم ـ به . وأخرجه ابن جرير(١٦٨٥) من طريق عبد العزيز بن المختار عن موسى بن عقبه ــ به . بنحوه . وعبد العزيز " ثقة " روى له الجماعة . كما قال الشيخ شاكر فى تعليقه على الطبرى .

(٢) تفسير ابن كثير(٥٢٥/١) وانظر أيضاً البداية والنهاية (٨٣/١) ط : التركى

منها ماالله أعلم به ، وأخذت الشهوة بأسماعهما وأبصارهما ، فلما أرادا أن يطيرا إلى السماء لم يستطيعا ، فأتاهما ملك ، فقال : إنكما قد فعلتما مافعلتما ، فاختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة . فقال أحدهما للآخر : ماذا ترى ؟ قال : أرى أن أعذب فى الدنيا ثم أعذب ، أحب إلىَّ من أن أعذب ساعة واحدة فى الآخرة ، فهما معلقان منكسان فى السلاسل ، وجُعْلا فتنة.([1])

٦-عن عمير بن سعيد قال : سمعت علياً - رضى الله عنه - يخبر القوم :

إن هذه الزَّهَرَة تسميها العرب الزهرة ، وتسميها العجم (أناهيد) ([2])، كانت امرأة وضَّاءة فكان الملكان يحكمان بين الناس ،-وفى لفظ - وكان هذان الملكان يهبطان أول النهار فيحكمان بين الناس ويصعدان آخر النهار ، فأتتهما كل واحد منها عن غير علم صاحبه ، فقال أحدهما لصاحبه : ياأخى ، إن فى نفسى بعض الأمر ، أريد أن أذكره لك ، قال : اذكره ياأخى ، لعل الذى فى نفسى مثل الذى فى نفسك ، فاتفقا على أمر فى ذلك ، فقالت لهما : لا ، حتى تخبرانى بما تصعدان به إلى السماء ، وماتهبطان به إلى الأرض . قالا : باسم الله الأعظم ، به نهبط وبه نصعد . فقالت : ماأنا بمواتيتكما الذى تريدان حتى تعلمانيه ، فقال أحدهما لصاحبه : علماها إياه . قال :

---

(١) رواه سعيد بن منصور فى السنن(تفسير-٢٠٥) حدثنا عتاب بن بشير عن خصيف ـ به . وعزاه السيوطى فى الدر(٢٤٣/١) لسعيد فقط . وخصيف فيه كلام محتمل لكن تبقى جهالة الرجل من قريش .

(٢) أناهيد أو أناهيذ بالذال المعجمة : اسم الزهرة ، وهى الكوكب المعروف ، فارسى غير معرب . تاج العروس للزبيدى(٤٩٢/٩) مادة[نهذ] . والزُّهَرَة ـبضم الزاى وفتح الهاء والراء المهملة ، وبفتح الزاى أيضاً ـ وقال الخفاجى فى نسيم الرياض(٢٣٢/٤) : " والزهرة بضم الزاى وفتح الهاء ، وتسكينها لحن ، ولامانع منه تخفيفاً " . أحد كواكب المجموعة الشمسية ، يبعد عنها حوالى (١٠٨) مليون كيلو متر ، وهى ألمع جرم سماوى بعد الشمس والقمر ، وهى آلهة الجمال عند الإغريق ، ويسمونها : أفروديت ، واسمها فينوس عند الرومان .

كيف لنا بشدة عذاب الله ؟ فقال الآخر : إنا نرجو سعة رحمة الله عزوجل ، فعلماها إياه ، فتكلمت به ، فطارت إلى السماء ، ففزع ملك لصعودها ، فطأطأ رأسه ، فلم يجلس بعد ، ومسخها الله تعالى فكانت كوكباً فى السماء.(1) .

٧-عن ابن عباس:

في قوله ﷻ (وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ) قال : لما وقع الناس من بعد آدم -عليه السلام- فيما وقعوا فيه من المعاصى والكفر بالله ، قالت الملائكة فى السماء : يارب ، هذا العالم الذى إنما خلقتهم لعبادتك وطاعتك ، قد وقعوا فيما وقعوا فيه ، وركبوا الكفر ، وقتل النفس ، وأكل المال الحرام ، والزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر . فجعلوا يدعون عليهم ، ولايعذرونهم ، فقيل : إنهم فى غيب ، فلم يعذروهم . فقيل لهم : اختاروا منكم من أفضل ملكين ، آمرهما وأنهاهما . فاختاروا هاروت وماروت ، فأهبطا إلى الأرض ،وجُعل لهما شهوات بنى آدم ، وأمرهما الله أن يعبداه ولايشركا به شيئاً ، ونُهى عن قتل النفس الحرام ، وأكل المال الحرام ، وعن الزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر . فلبثا فى الأرض زمناً يحكمان بين الناس بالحق ، وذلك فى زمن إدريس -عليه السلام- ، وفى ذلك الزمان امرأة حسنها فى النساء كحسن الزهرة فى سائر الكواكب ، وأنهما أتيا عليها

(١) رواه ابن راهويه .المطالب العالية(٣٥٢٢) والإتحاف(٥٦١٩) ابن جرير(١٦٨٣) والحاكم (٢٦٥/٢) وصححه وأقره الذهبى . وأبو الشيخ فى العظمة رقم(٦٩٨) وابن أبى الدنيا فى العقوبات رقم(٢٢٣) وقال الحافظ فى العجاب(٣٢٢/١) سنده صحيح . وأما ابن حزم فى الفصل(٦١/٤) فقد جزم بأن الحديث كذب ؛ لأنه من طريق عمير بن سعيد وهو مجهول بمرة ، أو أنه ليس له عن على -رضى الله عنه - إلا حديثان كلاهما كذب! . قال ابن حجر فى التهذيب رقم(٦٠١٤) : ولقد استعظمت هذا القول ، ولولا شرطى فى كتابى هذا ماعرجت عليه ، فإنه من أشنع ماوقع لابن حزم سامحه الله ، وقد وقفنا له عن على -رضى الله عنه - على حديث آخر. . .وله روايات عن غير على،فما أدرى هذا الجزم من ابن حزم!.

فخضعا لها فى القول ، وأراداها عن نفسها ، فأبت إلا أن يكونا على أمرها وعلى دينها ، فسألاها عن دينها ، فأخرجت لهما صنماً ، فقالت : هذا أعبده . فقالا : لاحاجة لنا فى عبادة هذا ، فذهبا فغبرا ماشاء الله (١) ، ثم أتيا عليها فأراداها عن نفسها ، ففعلت مثل ذلك . فذهبا ، ثم أتيا عليها فراوداها عن نفسها ، فلما رأت أنهما قد أبيا أن يعبدا الصنم ، قالت لهما : اختارا أحد الخلال الثلاث : إما أن تعبدا هذا الصنم ، وإما أن تقتلا هذه النفس ، وإما أن تشربا هذه الخمر .

فقالا : كل هذا لاينبغى ، وأهون هذا شرب الخمر . فشربا الخمر ، فأخذت فيهما ، فواقعا المرأة ، فخشيا أن يخبر الإنسان عنهما فقتلاه ، فلما ذهبا عنهما السكر ، وعلما ماوقعا فيه من الخطيئة ، أرادا أن يصعدا إلى السماء ، فلم يستطيعا ، وحيل بينهما وبين ذلك ، وكُشِف الغطاء فيما بينهما وبين أهل السماء ، فنظرت الملائكة إلى ماوقعا فيه ، فعجبوا كل العجب ، وعرفوا أنه من كان فى غيب فهو أقل خشية ، فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن فى الارض ، فنزل فى ذلك : (وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)[الشورى:٥] . فقيل لهما : اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة . فقالا : أما عذاب الدنيا فإنه ينقطع ، وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له ، فاختارا عذاب الدنيا ، فجُعِلا ببابل فهما يعذبان . (٢).

٨-عن ابن عباس قال :

---

(١) فغبرا : أى غابا ماشاء الله .
(٢) رواه ابن جرير(١٦٨٢) ابن أبى حاتم (١٠٠٥) السمر قندى فى تفسيره " بحر العلوم " (١٤٣/١) الحاكم(٤٤٢/٢) وصححه وأقره الذهبى ، وعنه البيهقى فى الشعب(٦٦٩٦) وقال الحافظ ابن حجر فى العجاب (٣٢٧/١) : سنده حسن . وقال ابن كثير فى التفسر(٥٢٨/١) : هذا أقرب ماورد فى ذلك . . وأقرب ماورد فى شأن الزهرة . وقال فى التاريخ(٨٣/١) : وهذا أحسن لفظ رُوى فى هذه القصة .

إن هاروت وماروت أهبطا إلى الأرض ، فإذا أتاهما الآتى يريد السحر نهياه أشد النهى ، فإذا أبى عليهما ، أمراه أن يأتى مكان كذا وكذا ، فإذا أتاه عاين الشيطان فعلمه ، فإذا تعلمه خرج منه النور ، فنظر إليه ساطعاً فى السماء ، فيقول : ياحسرتاه ، ياويله ، ماذا صنع ؟! . ([1]).

٩- عن ابن عباس قال :

إن المرأة التى فتن بها الملكان مسخت ، فهى هذه الكوكب الحمراء ، يعنى الزهرة . ([2]).

١٠-عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت :

قدمت علىَّ امرأة من أهل دومة الجندل ، جاءت تبتغى رسول الله ﷺبعد موته حداثة ذلك ، تسأله عن أشياء دخلت فيها من أمر السحر ولم تعمل به . قالت عائشة لعروة : ياابن أختى ، فرأيتها تبكى حين لم تجد رسول الله ﷺ فيشفيها ، فكانت تبكى حتى إنى لأرحمها ، وتقول : إنى أخاف أن أكون قد هلكت ، كان لى زوج فغاب عنى ، فدخلت على عجوز فشكوت ذلك إليها ، فقالت : إن فعلت ماآمرك به فأجعله يأتيك ، فلما كان الليل جاءت بكلبين أسودين ، فركبت أحدهما وركبت الآخر ، فلم يكن شئ حتى وقفنا ببابل ، وإذا برجلين معلقين بأرجلهما ، فقالا : ماجاء بك ؟ قلت : نتعلم السحر . فقالا : (إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ) فلا تكفرى ، فارجعى ، فأبيت ، وقلت : لا . قالا : فاذهبى إلى ذلك التنور فبولى فيه ([3]).، فذهبتُ ففزعتُ ولم أفعل ، فرجعت إليهما ، فقالا : أفعلت ؟ فقلت : نعم . فقالا : هل رأيت شيئاً ؟ فقلت : لم أر شيئاً ،

---

(١) رواه ابن أبى حاتم رقم(١٠٢١) وسنده حسن .

(٢) رواه عبد الرزاق فى التفسير(ص١٠) وقال الحافظ فى العجاب(٣٢٧/١) : وهذا سند صحيح أخرجه الحاكم من هذا الوجه وأخرجه الطبرى من وجه آخر أتم منه .

(٣) التنور :الفرن يخبز فيه . ويقال : إنه فى جميع اللغات كذلك . النهاية والمعجم الوسيط مادة[تنر]

فقالا : لم تفعلى ، ارجعى إلى بلادك ولاتكفرى . فأربيت وأبيت ([1]) ، فقالا : اذهبى إلى ذلك التنور فبولى فيه ، فذهبت فاقشعررت وخفت ، ثم رجعت إليهما ، وقلت : قد فعلت . فقالا : فما رأيت ؟ قلت : لم أر شيئاً . فقالا : كذبت ، لم تفعلى ، ارجعى إلى بلادك ولاتكفرى ، فإنك على رأس أمرك . فأربيت وأبيت . فقالا : اذهبى إلى التنور فبولى فيه ، فذهبت إليه فبلت فيه . فرأيت فارساً مقنعاً بحديد خرج منى فذهب فى السماء ، وغاب حتى ماأراه ، فجئتهما فقلت : قد فعلت . فقالا : فما رأيت ؟ قلت : رأيت فارساً مقنعاً خرج منى فذهب فى السماء وغاب حتى ماأراه ، فقالا : صدقت ، ذاك إيمانك خرج منك ، اذهبى . فقلت للمرأة : والله ماأعلم شيئاً ، وماقالا لى شيئاً .

فقالت : بلى ، لم تريدى شيئاً إلا كان . خذى هذا القمح فابذرى ، فبذرت . وقلت : اطلعى ، فطلعت ! . وقلت : احقلى ، فأحقلت . ثم قلت : افركى ، فأفركت .

ثم قلت : أيبسى ، فأيبست . ثم قلت : اطحنى ، فأطحنت . ثم قلت : اخبزى ، فخبزت . فلما رأيت أنى لاأريد شيئاً إلا كان ، سقط فى يدى ، وندمت والله يا أم المؤمنين ، مافعلت شيئاً ولاأفعله أبداً ". . ورواه ابن أبى حاتم وزاد بعد قولها : " ولاأفعله أبداً . فسألت أصحاب رسول الله ﷺ حداثة وفاة رسول الله ﷺ ، وهم يومئذ متوافرون ، فما دروا مايقولون لها ، وكلهم هاب ، وخاف أن يفتيها بما لايعلمه ، إلا أنه قد قال لها ابن عباس : – أو بعض من كان عنده – :

لو كان أبواك حيين أو أحدهما لكانا يكفيانك . ([2]) .

---

(١) يقال : ربَّ بالمكان ، لزمه وأقام به فلم يبرحه . وأربت الريح ، دامت. المعجم الوسيط مادة [رب]

(٢) رواه ابن جرير(١٦٩٥) وقال الشيخ شاكر : هى قصة عجيبة ، لاندرى أصدقت تلك المرأة فيما أخبرت به عائشة ؟ أما عائشة فقد صدقت فى أن المرأة أخبرتها ، والإسناد إلى عائشة جيد بل صحيح . ورواه ابن أبى حاتم(١٠٢٢) واللالكائى فى شرح أصول =

بيان وجه الإشكال فى هذه الأخبار :

هذه هى جملة الروايات المرفوعة والموقوفة الواردة فى قصة هاروت وماروت ، والتى ساقها أصحاب التفسير المأثور عند تفسير آية البقرة ، ووجه الإشكال فيها أن الله تعالى أنزل إلى الأرض ملكين (هاروت) و(ماروت) وأنهما عصيا الله تعالى ، فشربا الخمر ، وزنيا ، وقتلا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ، وهذا الظاهر مُشْكِل ؛ لما فيه من القدح بعصمة الملائكة – عليهم السلام – والتى قررها القرآن الكريم فى غير مآية ، كقوله تعالى:

(وَمَن عِندَهُ لا يَستَكبِرونَ عَن عِبادَتِهِ وَلا يَستَحسِرونَ ١٩ يُسَبِّحونَ اللَّيلَ وَالنَّهارَ لا يَفتُرونَ ٢٠) [الأنبياء ١٩–٢٠] وقوله سبحانه : (لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦)[التحريم ٦] ، مما حدا بكثير من العلماء إلى الدفع بعدم حجيتها ؛ لمصادمتها بأصل من أصول الإعتقاد المتعلق بعصمة الملائكة الكرام ، وتنزيههم عن ارتكاب الخطايا والآثم . ومرة بالطعن فى أسانيدها والتشكيك فى نسبتها إلى النبى خير الأنام ﷺ ، وصحبه الأعلام ، والتأكيد على أن أصلها إسرائيليات ، تحتوى على كثير من الخرافات . وكان للمثبتين للقصة تخريجات ، وتوجيهات ، وتعليقات ، تثبت أصل القصة ، وتدفع ماوجه إليها من انتقادات، وتوجه مافيها من إشكالات ، والجميع متفقون على مبدأ العصمة للملائكة .

=
اعتقاد أهل السنة (٣٧٣/٥)والحاكم(١٧١/٤) وصححه وأقره الذهبى . البيهقى السنن(١٣٧/٨) وقال ابن كثير فى التفسير(٥٣٣/١) : أثر غريب وسياق عجيب .. . وإسناده جيد إلى عائشة . وانظر الدر المنثور(٥٢٤/١) وتفسير الماوردى(٥٠/٩)

المبحث الثانى :

بيان العلماء الذين أثبتوا أصل القصة وصححوا بعض طرقها

هذه الأخبار الواردة فى قصة هاروت وماروت وجدت من العلماء من ينتصر لثبوت أصل القصة ويصحح بعض طرقها ، كابن حبان ، والحاكم ، والذهبى ، والهيثمى ، كما هو ملاحظ فيما أثبته فى حاشية البحث ، ومن أوائل من انبرى إلى إثبات أصل القصة الإمام ابن قتيبة كما يظهر من كلامه فى كتابه القيم " تأويل مختلف الحديث " ، فقد ساق بعضاً من أخبار القصة ، ثم قال : وهذا شئ لم نؤمن به من جهة القياس ، ولامن جهة حجة العقل ، وإنما آمنا به من جهة الكتب وأخبار الأنبياء –عليه الصلاة والسلام – وتواطؤ الأمم فى كل زمان عليه . (1) .

–ويظهر من الحافظ الذهبى اعتماده أصل قصة " هاروت وماروت " فقد قال عند ترجمة مجاهد فى " النبلاء " : بلغنا أنه ذهب إلى بابل ، وطلب من متوليها أن يوقفه على هاروت وماروت . قال : فبعث معى يهودياً ، حتى أتينا تنوراً فى الأرض ، فكشف لنا عنها ، فإذا بهما معلقان منكسان ، فقلت آمنت بالذى خلقهما ؛ فاضطرب ، فغُشى علىَّ وعلى اليهودى ؛ ثم أفقنا بعد حين ، فلامنى اليهودى وقال : كِدْتَ أن تُهْلِكَنا " . ثم ساق الخبر عن الأعمش قال : كان مجاهد لايسمع بأُعجوبة إلا ذهب فنظر إليها ، ذهب إلى بئر بَرَهُوت بحضر موت (2)، وذهب إلى بابل ، عليها والٍ ، فقال له مجاهد تَعْرِض علىَّ هاروت وماروت ؟ قال : فدعا رجلاً من السحرة ، فقال : اذهب به ، فقال اليهودى : بشرط ألا تدعو الله عندهما ، قال : فذهب بى إلى قلعة

---

(1) تأويل مختلف الحديث(ص٢٧٠)

(2) كذا ضبطه الزبيدى فى تاج العروس مادة [برهت] ، وهو وادٍ معروف ، أو بئر عميقة بحضر موت اليمن ، لايستطاع النزول إلى قعرها ، ويقال " بُرْهُوت " كعصفور . وانظر معجم البلدان " برهوت " (٤٠٥/١)

، فقطع منها حجراً ، ثم قال : خذ برجلى . فهوى بى حتى انتهى إلى جَوْبَة ([1])، فإذا هما معلقان منكسان ، كالجبلين ، فلما رأيتهما قلت : سبحان الله خالقكما . فاضطربا ، فكأن الجبال تدكدكت ، فغُشى علىَّ وعلى اليهودى ، ثم أفاق قبلى ،فقال : أهلكت نفسك وأهلكتنى "([2]) . ولم يتعقب الذهبى الخبر بشئ ولم يستغربه .

-وممن انتصر لثبوت أصل القصة ، وأطنب فى تصحيح بعض طرقها ، ورد على من أنكرها ، الحافظ ابن حجر فى مواضع عدة من مؤلفاته ، فقال فى الفتح :

قصة هاروت وماروت جاءت بسند حسن من حديث ابن عمر فى مسند أحمد ، وأطنب الطبرى فى إيراد طرقها ،بحيث يقضى بمجموعها على أن للقصة أصلاً ، خلافاً لمن زعم بطلانها ؛ كعياض ومن تبعه . ومحصلها أن الله ركب الشهوة فى ملكين من الملائكة اختباراً لهما ، وأمرهما أن يحكما فى الأرض ، فنزلا على صورة البشر ، وحكما بالعدل مدة ، ثم افتتنا بامرأة جميلة ، فعوقبا بسبب ذلك ، بأن حبسا فى بئر ببابل منكسين ، وابتليا بالنطق بعلم السحر ، فصار يقصدهما من يطلب ذلك ، فلا ينطقان بحضرة أحدحتى يحذراه وينهياه ، فإذا أصر تكلما بذلك ليتعلم منهما ذلك ، وهما قد عرفا ذلك ، فيتعلم منهما ماقص الله عنهما ، والله أعلم ([3]) .

-وقال أيضاً فى القول المسدد :

له طرق كثيرة جمعتها فى جزء مفرد ، يكاد الواقف عليه أن يقطع بوقوع هذه القصة ؛ لكثرة طرقه الواردة فيها ، وقوة مخارج أكثرها ، والله أعلم ([4])

(١) الجوبة : فجوة ، أو منفتق من الأرض بلا بناء .
(٢) سير أعلام النبلاء(٤٤٩/٤) . والخبر رواه أبو نعيم فى الحلية(٢٢٧٩/٣) رقم(٢٤٣)
(٣) فتح البارى(٢٢٥/١٠)
(٤) القول المسدد فى الذب عن المسند(ص٤٨)

-وأورد ابن حجر فى كتابه " العجاب فى بيان الأسباب " زيادات هذه القصة ثم ذكر من أنكرها ، ورد عليهم ، ثم قال أخيراً :

فى طرق هذه القصة القوى والضعيف ، ولاسبيل إلى رد الجميع ، فإنه ينادى على من أطلقه بقلة الإطلاع والإقدام على رد مالايعلمه ، لكن الأولى أن ينظر إلى مااختلفت فيه بالزيادة والنقص ، فيؤخذ بما اجتمعت عليه ، ويؤخذ من المختلف ماقوى ويطرح ماضعف واضطراب ، فإن الإضطراب إذا بَعُد به الجمع بين المختلف ، ولم يترجح شئ منه التحق بالضعيف المردود ، والله المستعان ([1])٠

-وأيد الشيخ زكريا الأنصارى شيخه ابن حجر بقوله :

الحق مأأفاده هنا شيخنا ابن حجر أن لها طرقاً تفيد العلم بصحتها.([2])٠

-وتابع ابنَ حجر فى ثبوت القصة وصحة بعض طرقها الإمامُ السيوطىُ فى مواضع متعددة من مؤلفاته ، فصحح قصة هاروت وماروت من حديث ابن عمر فى الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة رقم(٤٩٤)

-وقال أيضاً فى " مناهل الصفا فى تخريج أحاديث الشفا " رقم(١٢٥٠) : روى فيها عن النبى ﷺ الصحيح وغيره ، كما استوعبت طرق القصة فى التفسير المسند " .

-وقال فى اللآلئ : وقد وقفت على الجزء الذى جمعه -يعنى ابن حجر - ، فوجدته أورد فيه يضعة عشر طريقاً ، أكثرها موقوفاً ، وأكثرها من تفسير ابن جرير ، وقد جمعت أنا طرقها فى التفسير المسند ، وفى التفسير المأثور ، فجاءت نيفاً وعشرين طريقاً ، مابين مرفوع وموقوف ، ولحديث ابن عمر بخصوصه طرق متعددة ، من رواية نافع ، وسالم ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، عنه . وورد من رواية على بن أبى طالب ، وابن عباس ، وابن

(١) العجاب فى بيان الأسباب(٣١٧/١-٣٤٣)
(٢) انظر تفسير السراج المنير(٨٢/١) وفتح البيان(٢٣٩/١)

مسعود (١)، وعائشة ، وغيرهم (٢)، والله أعلم . (٣) .

-وذهب الإمام المناوى -صاحب فيض القدير - : إلى أن قصة هاروت وماروت المشهورة وردت من نحو عشرين طريقاً ، بعضها حسن ، فزعم بطلانها غير صواب . (٤)

-وقال العجلونى فى كشف الخفا : وممن صحح هذه القصة السيوطى ، ولاعبرة بمن أنكرها كالرازى والقرطبى ، فإنهم ليسوا فى مرتبة المصححين رواية ولادراية . (٥).

-وكان الإمام ابن حجر الهيتمى أوسع العلماء خطاً ، وأكثرهم توسعاً فى إثبات أصل القصة وصحة بعض طرقها ، ودفع الإشكالات الواردة عليها ، فى فتاويه الحديثية ، وكتابه " الزواجر عن اقتراف الكبائر" كما سيتضح بعد. (٦)

-ومال إلى ثبوت أصل القصة الملا على القارى فى شرحه للشفا ، فقال بعد أن ساق بعض طرق القصة مرفوعة وموقوفة : " ولايخفى أن الحديث كما تراه مرفوعاً وموقوفاً له أصل ثابت فى الجملة لتعدد طرقه واختلاف سنده . . . وقد قيل : لهذه القصة طرق تفيد العلم بصحتها . (٧) .

-وهذا ماحدا بالعلامة الكتانى إيراد قصة هاروت وماروت فى كتابه " نظم

---

(١) رواه ابن جرير رقم(١٦٨٢)ابن أبى الدنيا فى العقوبات رقم(٢٢١) عن ابن مسعود وابن عباس ، وفى الإسناد على بن زيد بن جدعان فيه مقال .

(٢) كأبى الدرداء مرفوعاً : " احذروا الدنيا ، فإنها أسحر من هاروت وماروت " رواه ابن أبى الدنيا فى " ذم الدنيا " رقم(١٣٢) ورمز السيوطى لضعفه فى الجامع الصغير رقم(٢٤٥) وقال ابن كثير فى التفسير(٥٣٢/١) : قد روى فى قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين ، كمجاهد والسدى والحسن ، وقتادة ، وأبى العالية ، والزهرى ، والربيع بن أنس ، ومقاتل بن حيان ، وغيرهم .

(٣) اللآلئ المصنوعة(١٥٩/١)

(٤) انظر فيض القدير عند رقم(١٤٥)

(٥) كشف الخفا رقم(٢٨٧١)

(٦) انظر : الزواجر عن اقتراف الكبائر(١٧٢/٢) الكبيرة العشرون بعد الثلاثمائة والفتاوى الحديثية(ص٨٧).

(٧) انظر : شرح الشفا للقارى بهامش نسيم الرياض للشهاب الخفاجى(٢٣١/٤)

المتناثر من الحديث المتواتر " ([1])

ومال الشوكانى إلى تصحيح القصة كما يظهر من كلامه فى التفسير.([2])

(١) نظم المتناثر من الحديث المتواتر(ص٢٢٢) رقم(٢٨٢)
(٢) فتح القدير(١٥٨/١)

بيان العلماء الذين أنكروا القصة وحكموا بضعفها

وفى مقابل العلماء الذين اعتمدوا أصل القصة وانبروا إلى تصحيح بعض طرقها ، نرى فى الجانب الآخر جماعة من أهل العلم قديماً وحديثاً أنكروها ، وبعضهم بالغ فى الإنكار ، ومن أوائل من قال بضعف الرواية ونكارتها : الإمام أحمد (١)، وأبو حاتم (٢) ، وابن حزم (٣) ، والقاضى عياض (٤)، وابن عطية (٥) ، وابن العربى (٦) ، وابن الجوزى فى التفسير والموضوعات (٧) ، والفخر الرازى فى التفسير (٨) ، والقرطبى (٩) ، وأبو حيان (١٠) ، وابن وابن كثير (١١)، وأبو السعود (١٢) ، والألوسى (١٣) ، والقاسمى (١٤)والشيخ أحمد شاكر (١٥) ، والألبانى (١٦)،

والشيخ عبد الله بن الصديق الغمارى (١٧)، وغيرهم (١٨)،كما هو ظاهر فى حواشى البحث ، فمنهم من أنكرها متناً ، ومنهم من ضعفها سنداً ،

(١) انظر : العلل للخلال (١٩٤-المنتخب)
(٢) انظر : العلل لابن أبى حاتم رقم (١٦٩٩)
(٣) انظر : الفصل فى الأهواء والملل والنحل (٣/٣٠٥-٦١/٤)
(٤) انظر : الشفا(١٧٤/٢)
(٥) انظر : تفسير المحرر الوجيز(٤٢٠/١)
(٦) انظر : أحكام القرآن لابن العربى(٤٧/١)
(٧) انظر : تفسير زاد المسير(١٢٤/١) والموضوعات رقم (٣٨٩) كلاهما لابن الجوزى
(٨) انظر : تفسير الرازى(٢٣٧/١)
(٩) انظر : تفسير القرطبى(٥١/٢)
(١٠) انظر : تفسير البحر المحيط (٣٢٩/١)
(١١) انظر : تفسير ابن كثير(٥٢٥/١)
(١٢) انظر : تفسير إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن العظيم (١٣٨/١)
(١٣) انظر : تفسير روح المعانى(٣٤١/١)
(١٤) انظر : تفسير محاسن التأويل (٢١٢/١)
(١٥) انظر : تعليق الشيخ أحمد شاكر على المسند رقم(٦١٧٨)
(١٦) انظر : السلسلة الضعيفة رقم(١٧٠)
(١٧) انظر : رسالة بذيل " قصة إدريس –عليه السلام – " للغمارى(ص٢٧-٤١)
(١٨) كالأستاذ سيد قطب فى تفسيره(٩٧/١) ومحمد عزة دروزة فى التفسير الحديث(٢١٧/٧) وسعيد حوى فى الأساس فى التفسير(٢٤٨/١) والصابونى فى " تنوير الأذهان من تفسير روح البيان " (٨٩/١)

ومنهم من حكم بنكارة المتن وضعف السند ، - فالإمام أحمد وأبو حاتم حكما بنكارة الحديث ، وابن حزم اعتبر هذه الأخبار المتضمنة قصة هاروت وماروت ، كذب مفترى ، وبرهن على بطلان ذلك تعارضها مع آيات القرآن الكريم (1).

-وقال القاضى عياض : قصة هاروت وماروت وماذكر فيها أهل الأخبار ونقلة المفسرين ، وماروى عن على وابن عباس فى خبرهما وابتلائهما ، فاعلم -أكرمك الله -أن هذه الأخبار لم يرو منها شئ لاسقيم ولاصحيح عن رسول الله ﷺ . وليس هو شيئاً يؤخذ بقياس ، والذى منه فى القرآن اختلف المفسرون فى معناه ، وأنكر ماقال بعضهم فيه كثير من السلف ، وهذه الأخبار من كتب اليهود وافترائهم . (2)

واستغرب ابن حجر صدور هذا القول من القاضى عياض وعلق عليه بقوله :

وهذا من غريب ماوقع لهذا الإمام المشتهر بالحديث ، المعدود من حفاظه ، المصنف فى شرحه ، كيف يجزم بما نفاه من ورود خبر مرفوع فى هذه القصة ؟ ! .

وكيف يجزم بأن الذى ورد من ذلك إنما هو من افتراء اليهود ، مع أن علياً وابن عباس وابن عمر وغيرهم ثبت عنهم الإنكار على من سأل اليهود على شئ من الأمور ، وكثرة الأخبار الواردة فى هذه القصة ؟! (3) .

-وساق ابن عطية الروايات الواردة فى قصة هاروت وماروت وحكم بضعفها كلها (4) .

(1) الفصل فى الأهواء والملل والنحل (٣/٣٠٥-٤/٦١)
(2) الشفا (٢/١٧٤) ومابعدها بتلخيص . وانظر تفسير الجواهر الحسان للثعالبى(١/٢٨٩) وسبل الهدى والرشاد لعلامة الشام يوسف الصالحى(١٢/٥٥٤)
(3) العجاب فى بيان الأسباب(١/٣٤٠)
(4) تفسير المحرر الوجيز(١/٤٢٠)

-وأما ابن العربى فذكر القصة ، ولخص بعض ماورد فى ذلك ، ثم قال :

وإنما سقت هذا الخبر ؛ لأن العلماء رووه ودونوه ، فخشينا أن يقع لمن يضل به ، وتحقيق القول فيه أنه لم يصح سنداً ، ولكنه جائز كله فى العقل لو صح النقل . (١)

فابن العربى جوز وقوع ذلك ، ودفع صحة النقل بوقوعه ، وتلقاه عنه القرطبى وأبو حيان وقالا بعد أن ذكرا القصة ملخصة : وكل هذا لايصح منه شئ (٢) .

والناظر فى كلامهم – وهم جميعاً من علماء الأندلس – يستشعر أن اللاحق مقلد ومجارٍ للسابق فى إنكار القصة ، ولم يضف جديداً ، فكلامهم يتقارب فى اللفظ ، ويتطابق فى المعنى ، باستثناء ابن حزم الذى كان أوسعهم إنكاراً للقصة ، حتى أنه أفرط فى القول إلى حد الاستبشاع ، فقد قال فى كتابه " الفصل فى الأهواء والملل والنحل " بعد أن قرر عصمة الأنبياء واستدل بالآيات الواردة فى ذلك ، وأطنب فى التمسك بظاهرها وعمومها ، ثم ختم بأن قال : " وهذا يبطل ظن من قال : إن هاروت وماروت كانا ملكين فعصيا بالزنا وشرب الخمر ، وقتل النفس " . ثم أخذ يتأول القصة التى فى الآية ، قال : " ولم يقل الله إنهما كفرا ولاعصيا ، وإنما جاء ذلك فى خرافة موضوعة ، لاتصح من طريق الإسناد أصلاً ، ولاهى مع ذلك عن رسول الله ﷺ ، بل هى موقوفة على من دونه ، فسقط التعلق بها " . إلى أن قال : " نسبوا إلى الله مالم يأت به أثر يُشتغل به ، وإنما هو كذب مفترى ، إن الله أنزل إلى الأرض ملكين وهما هاروت وماروت ، وأنهما عصيا بشرب الخمر ، والحكم بالباطل ، وقتل النفس المحرمة ، والزنا ، وتعلم الزانية اسم الله

(١) أحكام القرآن(٤٧/١)

(٢) تفسير القرطبى(٥٣/٢) والبحر المحيط (٣٢٩/١) وكذا قال ابن الجوزى فى زاد المسير(١٢٤/١)

الأعظم ، فطارت به إلى السماء فمُسخت كوكباً وهى الزهرة ، وأنهما عُذبا فى غار ببابل " . قال : " وأعلى مافى هذا الباب خبر رويناه من طريق عمير ابن سعيد وهو مجهول ، مانعلم له رواية إلا هذه الكذبة ، وليست مرفوعة ، بل وقفها على عليٍّ ، وكذبة أخرى فى أن حد الخمر لم يسنه النبى ﷺ)اهـ كلامه.

وقد نقل الحافظ ابن حجر كلامه هذا وعقب عليه بقوله :

وكلامه فى هذا الفصل ينبئ عن قصوره فى النقل ، فإن عمير بن سعيد وثقه يحى بن معين ، ومحمد بن سعد . وحديثه فيما يتعلق بحد الخمر أخرجه البخارى فى صحيحه (1) ،ولانعرف أحداً قدح فى سنده قبله، ولاجرح عمير بن سعيد ، ولاقال : إنه مجهول ! . وأما قوله : إنه ليس له إلا هذان الأثران فحصر مردود ؛ لأن له رواية عن أبى موسى وعبد الله بن مسعود وسعد بن أبى وقاص والحسن بن على وغيرهم من الصحابة ، وعن علقمة ومسروق وغيرهم من التابعين ، وحدث عنه خلق من التابعين ، فسقط كلامه ، وتلقاه منه بالقبول أبو حيان . (2) .

وقال الحافظ فى التهذيب عند ترجمة " عمير بن سعيد: وأفرط ابن حزم فقال : إنه مجهول ، وإنه روى حديثين عن على مانعلم له غيرهما . . . وكلاهما كذب ! . قال ابن حجر :كذا قال ولقد استعظمت هذا القول ، ولولا شرطى فى كتابى هذا ماعرجت عليه ، فإنه من أشنع ماوقع لابن حزم – سامحه الله – (3) .

وابن حجر ذكر أقوال هؤلاء العلماء الأجلاء الذين أنكروا وقوع القصة ، وله تعليقان قبل استعراض أقوالهم وبعد عرضها ، فيقول أولاً : طعن فى هذه

(1) رواه البخارى كتاب الحدود باب : الضرب بالجديد والنعال (٦٧٧٨)
(2) العجاب فى بيان الأسباب(٣٣٩/١)
(3) تهذيب التهذيب(١٤٦/٨) .

القصة من أصلها بعض أهل العلم ممن تقدم ، وكثير من المتأخرين ، وليس العجب من المتكلم والفقيه ، إنما العجب ممن ينسب إلى الحديث ، كيف يطلق على خبر ورد بهذه الأسانيد القوية مع كثرة طرقها أو تباين أسانيدها أنه باطل ، أو نحو ذلك من العبارة ؟ مع دعواهم تقوية أحاديث غريبة ، أو واردة من أوجه لكنها واهية ، واحتجاجهم بها والعمل بمقتضاها ! . وفى نهاية عرض ماقالوه وأوردوه فى كتبهم ، يقول ابن حجر :

وليعتبر الناظر فى كلام هؤلاء ، والعجب ممن ينتمى منهم إلى الحديث ، ويدعى التقدم فى معرفة المنقول ، ويُسمَّى عند كثير من الناس بالحافظ ، كيف يُقْدِم على هذا النفى ويجزم به ، مع وجوده فى تصانيف من ذكرنا من الأئمة بالأسانيد القوية والطرق الكثيرة ؟! ، والله المستعان .([1])

-والمفسرون كالفخر الرازى والبيضاوى وأبى السعود والخازن وغيرهم قالوا :

إن مايحكى فى هذه القصة فمما لاتعويل عليه ؛ لما أن مداره رواية اليهود ، مع مافيه من المخالفة لأدلة العقل والنقل . ([2]) .

وأبو السعود تابع فى ذلك للبيضاوى التابع فى ذلك للرازى .

-وبنحو هذا قال العلامة القاسمى فى تفسيره ، وابن عاشور ، و نص كلام القاسمى :

للقصاص فى هاروت وماروت أحاديث عجيبة ! ثم ذكر أن القصة من اختلاق اليهود وتقولاتهم لم يقل بها القرآن قط ، وإنما ذكرها " التلمود " ، ثم قال : وجاراه جهلة القصاص من المسلمين،فأخذوها منهم . ثم نقل عن

---

(١) انظر : العجاب فى بيان الأسباب(٣٣٢/١-٣٤٣)

(٢) انظر : تفسير الرازى(٢٣٧/١) البيضاوى(٧٩/١) الخازن(٧١/١) أبى السعود(١٣٨/١) أحكام القرآن لابن العربى(٢٩/١)وكتاب " أسنى المطالب فى أحاديث مختلفة المراتب رقم(١٦٣٢)

الرازى وجوه بطلان هذه القصة ([1])

-وقال الألبانى : باطل مرفوعاً . . . ومما يؤيد بطلان رفع الحديث أن فيه وصف الملكين بأنهما عصيا الله تعالى بأنواع من المعاصى ، على خلاف وصف الله تعالى لعموم ملائكته فى قوله تعالى :(لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون)[التحريم:٦] . ([2])

-وأما الحافظ ابن كثير ، فذهب إلى أن القصة ثابتة عن ابن عمر لكن من روايته عن كعب الأحبار ، وأعل الطرق التى رويت عنه مرفوعة . وقال فى تاريخه : فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين ، وإن كان قد أخبر به كعب الأحبار وتلقاه عنه طائفة من السلف ، فذكروه على سبيل الحكاية ، والتحديث عن بنى إسرائيل ، والله اعلم)اهـ ([3])

-وعلق الشيخ محمد رشيد رضا على كلام ابن كثير بقوله :

من المحقق أن هذه القصة لم تذكر فى كتبهم المقدسة ، فإن لم تكن وضعت فى زمن روايتها ، فهى من كتبهم الخرافية ، ورحم الله ابن كثير الذى بين لنا أن الحكاية خرافية إسرائيلية ، وأن الحديث المرفوع لايثبت ([4]) .

-ونصر العلامة أحمد شاكر ماذهب إليه ابن كثير ، وأعل الرواية المرفوعة عند تعليقه على أحاديث المسند(٦١٧٨)ونقل كلام الحافظ ابن حجر السابق ذكره ، وتعقبه بقوله :

أما هذا الذى جزم به الحافظ بصحة وقوع هذه القصة ، صحة قريبة من القطع ؛ لكثرة طرقها ، وقوة مخارج أكثرها ، فلا ؛ فإنها كلها طرق معلولة ، أو واهية ، إلى مخالفتها الواضحة للعقل ، لا من جهة عصمة الملائكة

---

(١) تفسير محاسن التأويل للقاسمى(٢/٢١١-٢١٣) روح المعانى(١/٣٤٣)التحرير والتنوير(١/٦٤٢)
(٢) السلسلة الضعيفة رقم(١٧٠) وانظر رقم(٩١٠-٩١٢-٩١٣)
(٣) البداية والنهاية لابن كثير(١/٨٣) ط: التركى .
(٤) نقله الشيخ شاكر فى تعليقه على المسند عند الحديث رقم(٦١٧٨)

القطعية فقط ، بل من ناحية أن الكوكب الذى نراه صغيراً فى عين الناظر ، قد يكون حجمه أضعاف حجم الكرة الأرضية بالآلاف المؤلفة من الأضعاف ، فأنى يكون جسم هذه المرأة الصغيرة إلى هذه الأجرام الفلكية الهائلة ؟! .

المبحث الثالث:

مناقشة الإشكالات والاعتراضات على قصة هاروت وماروت

لاريب أن قضية هاروت وماروت من الغيبيات التى لاينبغى الضرب فى متاهاته بغير دليل ، فكل غيب لانعلم منه إلا مايقدمه لنا النص الصحيح ، وفى حدود مدلوله بلا زيادة ، وقد تبين لك اختلاف أنظار العلماء وتباين موقفهم من القصة ثبوتاً وعدماً ، والكل فى نهاية الأمر كان ينشد الصواب ، وسطر بقلمه مأأداه إليه اجتهاده فى الحكم على القصة ، وفى هذه الإطلالة أحاول أن أصل قدر جهدى إلى مأأُراه أسد رأياً ، وأقرب صواباً ، بالبحث فى الاعتراضات والنظر فى الإشكالات ، هل تسلم من المعارضة وتدفع بالقصة إلى الدر الأسفل من الحط والوضع ، والإنكار والرفض ، أم أن القضية قابلة للمناقشة ودفع الإشكالات ، ورد الإعتراضات ؟ . فأقول وبالله التوفيق :

الحكم بنكارة الحديث كما قال الإمام أحمد وأبو حاتم كان ذلك مبنياً على سياق رواية موسى بن جبير عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً ، وكذا تضعيف الشيخ أحمد شاكر والألبانى وغيرهم ، وكان حكم ابن الجوزى فى الموضوعات على طريق سنيد عن الفرج بن فضالة ، ونلاحظ أن هناك توافقاً بين المنكرين للقصة على جملة من الإشكالات ، وتفرداً لبعض العلماء فيما اعترض به .

فابن حزم اعتبر هذه الأخبار المتضمنة قصة هاروت وماروت ، كذباً مفترى ، وبرهن على بطلان ذلك كله بقول الله تعالى : (ما نُنَزِّلُ المَلائِكَةَ إِلّا بِالحَقِّ وَما كانوا إِذًا مُنظَرينَ ٨)[الحجر:٨] قال : فقطع الله عزوجل أن الملائكة لاتنزل إلا بالحق ، وليس شرب الخمر ولاالزنا ولاقتل النفس المحرمة ، ولاتعليم العواهر أسماءه –عزوجل– ، التى يرتفع بها إلى السماء ، ولاالسحر من الحق ، بل كل ذلك من الباطل .

– وكذلك قوله تعالى : (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ٩) [الأنعام:٩] ، فأبطل عزوجل أنه يمكن ظهور ملك إلى الناس ، وقال تعالى :(وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ٨)[الأنعام:٨] ، فكذب الله تعالى كل من قال إن ملكاً نزل قط من السماء ظاهراً إلا إلى الأنبياء بالحق .

–ويقوله تعالى :(لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٦) [التحريم :٦] ، قال : فهذا مبطل ظن من ظن أن هاروت وماروت كانا ملكين فعصيا بشرب الخمر والزنا والقتل ، وقد أعاذ الله عزوجل الملائكة من مثل هذه الصفة بما ذكرنا آنفاً أنهم لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون)اهـ (١).

هذه هى الإشكالات التى أوردها ابن حزم وبرهن بها على كذب القصة ؛ لما حوته من تناقضات مع القرآن . وتضامن معه كثير من العلماء الذى أتوا بعده قديماً وحديثاً ، وبالتأمل نجد أن ماأورده يمكن الجواب عليه بمايلى :

–أن وصف الملائكة بأنهم لايعصون ولايستكبرون ، يسبحون الليل والنهار لايفترون ، ويفعلون مايؤمرون ، دليل تصور العصيان منهم ، ولولا ذلك مامدحوا به ، إذ لايمدح أحد على الممتنع ، لكن طاعتهم طبع ، وعصيانهم تكلف ، على عكس حال البشر . فهذا يقتضى جواز الوقوع . . . فأهبطا بالتركيب البشرى ففعلا مافعلا ، وهذا ليس ببعيد ، إذ ليس مجرد هبوط الملك مما يقتضى العصيان ، وذلك ظاهر ، وإلا لظهر من جبريل وغيره ، ألا ترى أن إبليس له الشهوة والذرية ، مع أنه كان أحد الملائكة على أحد القولين ؛ لأنها مما حدثت بعد أن محى من ديوانهم ، فيجوز أن تحدث الشهوة فى هاروت وماروت بعد أن أهبطا الأرض لاستلزام التركيب البشرى ذلك . وقد قال فى آكام المرجان: إن الله تعالى باين بين الملائكة والجن

(١) الفصل فى الأهواء والملل والنحل (٣/٣٠٥-٤/٦١) بتلخيص .

والإنس فى الصورة والأشكال ، فإن قَلَبَ اللهُ الملكَ إلى صورة الإنسان ظاهراً وباطناً خرج عن كونه ملكاً ، وكذلك لو قلب الشيطان إلى بنية الإنسان خرج بذلك عن كونه شيطاناً ([1]).

-أما ماستدل به على بطلان القصة باستحالة ظهور ملك إلى الناس ، ومانزل ملك قط من السماء ظاهراً إلا إلى الأنبياء بالحق . فهذا مدفوع مردود بما رواه مسلم عن عمران ابن حصين أنه كان يسلم على الملائكة . . . وكان يراهم عياناً "([2]). وقد رصد الله ملَكاً لرجل زار أخاً له فى الله ، فقال الملك للرجل:". . . فإنى رسول الله إليك أن الله قد أحبك كماأحببته فيه" ([3]).

وفى حديث الأعمى والأبرص والأقرع الذين ابتلاهم الله تعالى وأنزل إليهم ملكاً ليختبرهم إدَّعا الملَك عندهم أنه رجل مسكين وابن سبيل تقطعت به السُبُل فى سفره . . ." الخ الرواية ([4]) ، والملك فى ادعائه هذا لايكون كاذباً ؛ لأن مراده ضرب المثل بما فعل ، وكله بأمر الله تعالى .وأورد ابن عادل فى تفسيره " اللباب " وجوهاً عدة أثبت بها أنه لايبعد من الله تعالى إنزال الملكين لتعليم الناس([5]).

-كذلك نجد الإمام الرازى أقام إشكالات عدة حملته على القول بفساد القصة ، والدفع بردها وعدم قبولها ، ونازعه فى ذلك ابن حجر الهيتمى وأطنب فى جواب الرازى ،فقال :

ونازع جماعة فى ثبوت أصل هذه القصة ، وليس كما زعموا لورود الحديث ، بل صحته بها . . . ومن المنازعين الفخر الرازى قال : هذه القصة

(١) انظر : تفسير روح البيان لإسماعيل حقى(١٥١/١) وتفسير " حدائق الروح والريحان إلى روابى علوم القرآن(١٤٣/٢) وآكام المرجان فى أحكام الجان لبدر الدين الشبلى(١٩٠/١)
(٢) رواه مسلم كتاب الحج باب : جواز التمتع . البيهقى الدلائل(٨٠/٧)
(٣) رواه أحمد(٩٩٥٨) وقال محققه : سنده صحيح .
(٤) رواه البخارى (٣٤٦٤) مسلم(٢٩٦٤)
(5) انظر : تفسير اللباب فى تفسير الكتاب(٣٤/٢)

رواية فاسدة مردودة ، ليس فى كتاب الله مايدل عليها ، بل فيه مايبطلها من وجوه :

الأول : عصمة الملائكة من كل ذنب . ويجاب : بأن محل العصمة ماداموا بوصف الملائكة ، أما إذا انتقلوا إلى وصف الإنسان فلا .

كما أن القول بثبوت عصمة الملائكة ، فيه خلاف ، وقيل : القول فى الرسل منهم كالقول فى الرسل من الأنبياء . وخصه قوم بالمقربين منهم . ونقل ابن السمعانى فى العصمة عن المعتزلة وغيرهم ، قال : وعند أهل السنة أنه يصح وقوع ذلك منهم .

الثانى : زَعْم أنهما خُيرا بين العذابين فاسد ، بل الأولى أن يخيرا بين التوبة والعذاب ؛ لأن الله تعالى خير بينهما من أشرك طوال عمره ، فهذان أولى .

ويجاب : بأن ذلك إنما فُعل تغليظاً للعقوبة عليهما ، ولايقاسان بمن أشرك ، ؛ لأن الأمور التوقيفية لامجال فيها .

الثالث : من أعجب الأمور أنهما يعلمان الناس السحر فى حال كونهما يعذبان ، ويدعوان إليه وهما يعاقبان ! ! . ويجاب : بأنه لاعجب فى ذلك ، إذ لامانع أن يفتر العذاب عنهما فى ساعات فيعلمان فيها ؛ لأنهما أنزلا فتنة عليهما لما وقع لهما مما ذُكر وعلى الناس لتعلُّمِهم منهما السحر (1) .

-أما ابن كثير ومن وافقه كالشيخ محمد رشيد رضا والشيخ أحمد شاكر وغيرهم فقد رفضوا القصة ودفعوا بعدم قبولها :كونها من الإسرائيليات ومما تلقفه السلف عن كعب الأحبار ، مع إعلال الإسناد المرفوع بموسى بن جبير ، والجواب عن هذا من ناحيتين :

-أن ابن كثير بنى هذاعلى الظن والاحتمال ، لاعلى الجزم واليقين ،

(1) انظر:البحر المحيط للزركشى(١٧٤/٤) والزواجر عن اقتراف الكبائر(١٧٢/٢) الكبيرة العشرون بعد الثلاثمائة .

ونص كلامه فى تاريخه : " فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين . . . " الخ . فهولم يجزم بما قال وإنما افترضه

ونص كلامه فى التفسير : " وأقرب مايكون فى هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار لاعن النبىﷺ ، ثم ساق رواية عبد الرزاق وابن جرير وابن أبى حاتم من طريق سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار قال : . . . فذكره .

–ثم قال عقبه : وهذا إسناد جيد إلى عبد الله بن عمر . . . وهذا أصح وأثبت إسناداً ، ثم هو – والله أعلم – من رواية ابن عمر عن كعب كما تقدم بيانه من رواية سالم عن أبيه . وقوله إن الزهرة نزلت على صورة امرأة حسناء ، وكذا فى المروى عن على ، فيه غرابة جداً . ويستطرد ابن كثير بعد ويدلى بدلوه ، فيقول :

" وقد روى فى قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين وغيرهم . . . وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين ، وحاصلها راجع فى تفصيلها إلى أخبار بنى إسرائيل ، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذى لاينطق عن الهوى ، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولاإطناب فيها ، فنحن نؤمن بما ورد فى القرآن على ماأراده الله – تعالى – والله أعلم بحقيقة الحال " .

هذا كل ماقاله ابن كثير فى تفسيره ، نقلته حتى يمكن أن نستخلص منه رؤية واضحة تكشف عن موقفه من قصة هاروت وماروت بجلاء ، ويمكن أن نحددها فى النقاط التالية

–أنه يجزم بإعلال الرواية المرفوعة بضعف السند وغرابتة .

– يرى أن أصل القصة راجع إلى الإسرائيليات ، لكن كلامه مبنى على الظن .

– يصحح الرواية الموقوفة عن ابن عمر ، لكن يَحْتَمل أنها مستقاة من الإسرائيليات.

– وساق رواية مطولة موقوفة على ابن عباس رواها ابن أبى حاتم والحاكم ورأى أنها أقرب ماورد فى ذلك ، وأقرب ماورد فى شأن الزهرة .

ونخلص من كل هذا إلى أن ابن كثير لايقبل القصة مرفوعة ، ويرتضيها موقوفة على السلف مما تلقوه عن مسلمة أهل الكتاب .

وأقول: إن إعلال الرواية المرفوعة بموسى بن جبير ، أمر مختلف فيه بين علماء الحديث ،فموسى ذكره ابن حبان فى الثقات(٤٥١/٧) وقال : يخطئ ويخالف .

وقال الحافظ فى التقريب(٦٩٥٤) : " مستور " .

وهو هو الذى قال فى " العجاب " : السند على شرط الحسن ورجاله رجال الصحيح إلا موسى بن جبير ، فإنه مدنى ، روى عنه جماعة ولم أر فيه تجريحاً ولاتعديلاً إلا ذكر ابن حبان له فى الثقات ، وإخراج حديثه فى صحيحه " [1] .

وقد اطمئن الحافظ الذهبى لتوثيق ابن حبان ، ومن ثم أورده فى الكاشف رقم(٥٦٨٧) وقال : " ثقة " . وكذا الهيثمى فى " مجمع الزوائد " وغيرهم ، والملا على القارى بعد أن نقل أقوال العلماء فى رجال الإسناد ومال إلى توثيقهم قال : فيحتاج هذا الحديث إلى جواب على وجه صواب . . . وبعد أن ساق بعض طرق القصة مرفوعة وموقوفة قال : ولايخفى أن الحديث كما تراه مرفوعاً وموقوفاً له أصل ثابت فى الجملة لتعدد طرقه واختلاف سنده . . . وقد قيل : لهذه القصة طرق تفيد العلم لصحتها . فالجواب الصواب أن الكلام فى عصمة الملائكة الكرام ، وهذان قد خرجا عن صفة الملائكية بإلقاء نعت

(١) العجاب فى بيان الأسباب(٣٢٠/١) .

البشرية من الشهوة النفسية عليهما ابتلاء لهما فى القضية . (١)

-ثانياً : الرواية جاءت من طرق موقوفة عن على بن أبى طالب وعن ابن عباس وابن عمر وابن مسعود ، وعائشة -رضى الله عنهم - ، وصحح ابن كثير وغيره بعض الطرق عن على وابن عباس ، ولم تصح بعضها ، منها طريق ابن مسعود ، فإذا افترضنا أن ابن عمر قد تلقاه عن كعب الأحبار ، فهل على بن أبى طالب – رضى الله عنه – عُرف بالأخذ عن أهل الكتاب ؟

هذا لم يقله أحد . ولذا قال الحافظ فى " العجاب " عن الرواية :هذا سند صحيح ، وحكمه أن يكون مرفوعاً ؛ لأنه لامجال للرأى فيه ، وماكان على – رضى الله عنه – يأخذ عن أهل الكتاب . وأخرجه عبد بن حميد بسند آخر صحيح إلى على أتم منه (٢)

-الأمر الآخر أن بعض سياق الرواية الموقوفة عن ابن عمر جاء فيها قول مجاهد : " فقال لى ابن عمر : ارْمُق لى الكوكبة ، فإذا طلعت أيقظنى ، فاستوى جالساً ، فجعل ينظر إليها ويسبها سباً شديداً ! . وفى لفظ : " انظر هل طلعت الحمراء ؟ لامرحباً بها ولاأهلاً ، ولاحياها الله " ، وهذا الخبر جوَّد ابن كثير إسناده ولم يستغرب فيه سوى جملة ليس هذا منها ، وابن عمر يحكى القصة حكاية المقر ، بل يدعو على الزهرة تفريعاً عليها ، فأقول : هل يسب ابن عمر خلقاً من خلق الله تعالى بناء على خبر يسمعه من مسلمة أهل الكتاب ومعارفهم ، وهو من كبار فقهاء الصحابة فى عصره ، والمعروف بتشدده ؟ وهذا مادعى مجاهد ونافع إلى التعجب فسألا ابن عمر عن سبب ذلك . – ثم ألا ترى معى عزيزى القارئ أن القول بأن قصة هاروت وماروت أصلها الإسرائيليات وفيها مافيها من المآخذات ، وإغفال ابن عمر وغيره من

---

(١) نسيم الرياض شرح الشفا للقاضى عياض(٢٣١/٤)
(٢) العجاب فى بيان الأسباب(٣٢٣/١)

الصحابة دفع القصة والرد على كعب ، يلزم منه قدح فى الصحابة واتهام لهم بالسلبية تجاه مايسمعونه من خرافات ، وصلت إلى المعتقدات ، فلم ينكروها ولم يزيفوها ؟

– ثم إن القصة كانت معروفة عند اليهود ؛ بدليل أنهم لم يكذبوا هذه الإشارة المجملة لقصة هاروت وماروت فى القرآن ولم يعترضوا عليها . وإذا كان ابن كثير يفترض مرجع الخبر فى أصله إلى أهل الكتاب بناء على الرواية الأخرى عن ابن عمر عن كعب الأحبار، وحكى ذلك المنذرى عن بعض العلماء (1)، فإن ابن حجر أجاب عن هذا بقوله : لو لم يرد فى ذلك غير هاتين الروايتين لسلمت أن رواية سالم أولى من رواية نافع ، لكن جاء ذلك من عدة طرق عن ابن عمر ، ثم من عدة طرق عن الصحابة ، ومجموع ذلك يقضى بأن للقصة أصلاً أصيلاً ، والله أعلم . (2) .

–وما المانع من الافتراض أيضاً أن يكون ماقاله كعب جاء موافقاً لماسمعه ابن عمر من رسول الله ﷺ فى أصل القصة ؟ . وهذا معنى ماقاله ابن حجر ، ونص كلامه بعد أن أورد رواية ابن عمر موقوفة عليه ولم يضفها إلى النبى ﷺ، قال :

" وجاءت من وجه آخر عن ابن عمر عن كعب الأحبار موقوفةعليه ، أخرجه ابن أبى حاتم أيضاً وعبد بن حميد من طريق الثورى عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب _ وساق المتن– ثم قال : " قلت : وسند الثورى أقوى من سند زهير ، إلا أن رواية كعب مختصرة جداً ، فيحتمل أن يكون ابن عمر استظهر برواية كعب ؛ لكونها توافق ماحمله ابن عمر

(1) أورده المنذرى فى الترغيب والترهيب رقم(٣٥٧٥) من رواية ابن عمر مرفوعاً ، وقال بعد عزوه لأحمد وابن حبان : وقد قيل : إن الصحيح وقفه على كعب ، والله أعلم .
(2) العجاب فى بيان الأسباب(٣٢٦/١) وانظر الترغيب والترهيب للمنذر كتاب الحدود حديث رقم(٣٥٧٥)

عن النبى ﷺ (1) .

-ولعل هذا هو الأقرب إلى الإحتمال لما عرف عن ابن عمر من احتياطه وتشدده فى التزامه السنة . ولو لم يكن عنده خبر عن رسول الله ﷺ فى أصل قصة هاروت وماروت لما قَبِل ماقاله كعب ، ولأبدى اعتراضه عليه بما يمكن أن يعترض عليه مما ساقه المنكرون للقصة .

-ويجاب بمثل هذا أيضاً عما قاله الشيخ أحمد شاكر فى تعليقه على رواية عائشة -رضى الله عنها - بقوله : " هى قصة عجيبة ، لاندرى أصدقت تلك المرأة فيما أخبرت به عائشة ؟ أما عائشة فقد صدقت فى أن المرأة أخبرتها ، والإسناد إلى عائشة جيد بل صحيح " .

هذا كلامه بنصه ، لكن يمكن للمرء أن يتساءل وبنفس أسلوبه الإستفهامى : ماالذى منع السيدة عائشة من الإنكارى على المرأة إذا كانت قد اشتمت فى حديثها الخرافة ؟ بل مامنع الصحابة الذين سمعوا بخبر المرأة ومنهم ابن عباس أن يستنكروا على المرأة ماقالت ؟ وهل يليق بجمع من الصحابة أن يسمعوا مايمكن أن يكون حديث خرافة ثم لايكن منهم موقف إيجابى يزيفون به الترهات ، ويردون به الخزعبلات ؟

ولم تكن السيدة عائشة ممن عرفت بالأخذ عن الإسرائيليات ، والأقرب أن عدم الإنكار عليها راجع فى تقديرى إلى ثبوت أصل قصة هاروت وماروت عندهم ، وهذا يؤيد ماذهب إليه الحافظ ابن حجر . ويقول ابن قتيبة :

وقد روى هذا ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن عائشة -رضى الله عنها - ، وهذا شئ لم نؤمن به من جهة القياس ، ولامن جهة حجة العقل ، وإنما آمنا به من جهة الكتب وأخبار الأنبياء -عليه الصلاة والسلام - وتواطؤ الأمم فى كل زمان عليه . (2)

(١) العجاب فى بيان الأسباب(٣٢٦/١)
(2) تأويل مختلف الحديث(ص٢٧٠)

– فلاينبغى البناء على ماقاله الشيخ أحمد شاكر ونحوه ، لرد أصل القصة والغض عن تمحيص غثها من سمينها ، والحكم على كل خبر يحمل غيبيات بأنه إسرائيليات ينبغى الإعراض عنها وعدم الإلتفات إليها، كما وقع ذلك من الشيخ رشيد رضا – رحمه الله – حين تجاوز فى إنكار الإسرائيليات ، حتى إنه ليقيم إشكالاً على متن حديث متفق عليه ، ويشكك أيضاً فى صحة سنده ، ثم يقول : فإذا كان فى بعض روايات الصحيحين والسنن مثل هذه العلل وراء احتمال دخول الإسرائيليات ، وخطأ النقل بالمعنى ، فما القول فيما تركه الشيخان ، وماتركه أصحاب السنن أيضاً ؟ . ([1]) .

وحتى أنه لينكر الأخبار الصحيحة ويزعم أنها من قبيل الإسرائيليات لمجرد غرابتها كما فى قصة الجساسة والدجال ، ونص كلامه :

" وجملة الأقوال فى حديث الجساسة أن مافيها من العلل والاختلاف والإشكال من عدة وجوه يدل على أنه مصنوع ، وأنه على صحته ليس له حكم المرفوع ، وكذا يقال فى سائر أحاديث الدجال المشكلة ([2]) .

كذا قال الحديث مصنوع – أى مخترع موضوع – مع أن الحديث فى صحيح مسلم ، ولم يشكك فى صحته مسلم . وماقاله تخيل فاسد يتطرق منه عدم الوثوق بجميع مافى الصحيح ؛ لأنه إذا جاز فى واحد لابعينه ، جاز فى كل فرد فرد ، فلا يبقى لأحد الوثوق بما فى الصحيح ، واتفاق العلماء ينافى ذلك . ([3])

– وقد جمع الشيخ عبد الله بن الصديق الغمارى شتات الإشكالات والإعتراضات وزاد عليها ؛ لدفع القصة وردها فى رسالة خاصة قال فيها :

" اختلفت أنظار الحفاظ فى هذه القصة اختلافاً متبايناً ، فأنكرها

---

(1) تفسير المنار(٢١١/٨)
(2) تفسير المنار(٤٩٧/٩)
(3) انظر فتح البارى(١٦١/٧)

البيهقى وابن العربى وعياض والمنذرى ، وذكرها ابن الجوزى فى الموضوعات([1]) .

ومال إلى إثباتها ابن جرير فى التفسير ، وأكثر من تخريج طرقها وأغلبها موقوفات ، وجاء الحافظ ابن حجر فجمع مارواه ابن جرير ، وضم إليه بعض الطرق الأخرى فأوصلها إلى بضعة عشر طريقاً جمعها فى جزء مفرد . . . وتتبع الحافظ السيوطى طرقها فى التفسير المسند وفى الدر المنثور فأوصلها إلى نيف وعشرين طريقاً أغلبها ضعيف أو واهٍ ، وقد تتبعت طرقها المشار إليها وأعملت فيها فكرى ، فوجدتها قصة شاذة منكرة المعنى ، تخالف القرآن والسنة وقواعد العلم ، هذا إلى تضارب ألفاظها ورواياتها ، وليس فيها عن النبى ﷺ حديث صحيح سالم من علة ... ويستطرد بعد فيقول :

بقى بعد هذا مخالفتها للقرآن ولقواعد العلم ، ويتبين ذلك من وجوه :

– الأول : ذكر الحديث الأول أن الملائكة قالوا حين أهبط آدم إلى الأرض (أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠)[البقرة:٣٠] ، والقرآن يفيد أن هذا القول صدر منهم قبل خلق سيدنا آدم ([2]) .

– الثانى : أفادة معظم طرق القصة أن المرأة حين عرجت إلى السماء مسخت نجماً وهى كوكب الزهرة ، أحد الكواكب السبعة السيارة ، وهذا يخالف المعقول والمنقول ، فإن الله خالق السموات والكواكب

(1) الموضوعات رقم(٣٨٩) وابن الجوزى أورده من طريق الفرج بن فضالة عم معاوية بن صالح عن نافع –به . وقال :لايصح . قال ابن حجر فى " العجاب " : وبين سياق معاوية بن صالح وسياق زهير بن محمد تفاوت ، وقد أخرجه من طريق زهير بن محمد أيضاً أبو حاتم بن حبان فى صحيحه ، وله طرق كثيرة .

(2) وهذا الإشكال ذكره أيضاً الشيخ أحمد شاكر فى عمدة التفسير(١٤٧/١) وجل الإشكالات التى ساقها الشيخ الغمارى منقولة من حاشية الشيخ زاده على البيضاوى(٢٠٠/٢)

والشهب قبل خلق آدم بآلاف السنين .

– الثالث : أن الله تعالى ذكر الملائكة فى القرآن أكثر من ثمانين مرة ، يثنى عليهم كل مرة بالطاعة والتسبيح وغير ذلك ، ولم يجئ فى القرآن قط وصف ملك بتقصير أو توجيه عتاب إليه ، والسنة المتواترة على نمط القرآن فى الثناء عليهم والتنويه بقدرهم ، وحديث هاروت وماروت يخالف القرآن والسنة فى هذه الناحية ، فيكون منكراً شاذاً يجب رده ولو صح سنده .

– الرابع : أن الملائكة معصومون لايجوز فى حقهم أن يراجعوا الله ، فيقولوا : نحن أطوع لك من بنى آدم ، لو كنا مكانهم ماعصيناك ، ثم ينتقلون من المراجعة القولية إلى المراجعة الفعلية فيختارون ملكين ينزلون إلى الأرض ، ولماذا ؟ ليثبتا لله أنهم أطوع له من بنى آدم !! . نعم لايجوز فى حقهم هذا ، كيف والله يقول فى حقهم : (لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧)[الأنبياء:٢٧] .

– الخامس : أفاد الحديث الثالث أنهما سجدا للصنم ، وهذا شرك لايحصل من الملائكة ، فإن الإجماع منعقد على عصمة الأنبياء والملائكة من الشرك. السادس : ذكر الحديث الثانى والثالث أن الله ألقى عليهما الشهوة فوقعا فى المعصية ، وهذا مبنى على مايفهمه كثير من الناس : أن عدم وقوع المعصية من الملائكة لعدم وجود الشهوة عندهم ، والواقع أن عدم وقوع المعصية منهم لعصمتهم منها ، والعصمة صفة قائمة بالعبد تمنعه من الوقوع فى المعاصى مع بقاء التكليف والاختيار ، فالمعصوم لاتحصل منه معصية ، سواء أوجدت عنده الشهوة أم لا ، ألا ترى إلى الأنبياء – عليهم السلام – عندهم شهوة الأكل والشرب والجماع ، وهم مع ذلك معصومون لايعصون الله أبداً ، فالملائكة مثلهم سواء

بسواء . ([1]) .

– هذه جملة الإشكالات التى ساقها الشيخ الغمارى للتدليل على تصادم الرواية مع العقل والنقل (النص القرآنى)، وهى لاتسلم من المعارضة أيضاً ، ويمكن الجواب عنها بما يلى :

– الإشكال الأول : إنه لايلزم أن يكون نزول الملكين بعد صدور القول من الملائكة (أتجعل فيها . ..) بل ظاهر الخبر يدل على أن القول تكرر منهم بعد هبوط آدم : " إن آدم لما أهبطه الله إلى الأرض . . " ويؤكد هذا النص الآخر من رواية موسى بن جبير عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر رفعه قال : " أشرفت الملائكة على الدنيا ، فرأت بنى آدم يعصون ، فقالت : يارب ، مأأجهل هؤلاء ! مأأقل معرفة هؤلاء بعظمتك ! فقال الله : لو كنتم فى مِسْلاخهم ([2])لعصيتمونى . قالوا : كيف يكون هذا ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : فاختاروا منكم ملكين . . . " الخ الرواية .

– وجاء نحوه فى رواية ابن عمر ، وفى رواية ابن عباس بلفظ :

" لما وقع الناس من بعد آدم –عليه السلام– فيما وقعوا فيه من المعاصى والكفر بالله ، قالت الملائكة فى السماء : . . . "

– فكل هذه السياقات تدل على أن ماصدر من الملائكة كان بعد خلق آدم وإعمار الأرض بالخليقة ، وتوافق استفهامهم مع الاستفهام الأول قبل خلق آدم " كيف يكون هذا ونحن نسبح بحمك ونقدس لك " ، وإن هذا الجملة حرية بالتأمل وجديرة بالتفحص ، حيث إنها تكشف عن

(١) انظر : (قصة هاروت وماروت) للغمارى . وهى رسالة خاصة ألفها فى هذا الموضوع مطبوعة بذيل كتاب " قصة سيدنا إدريس عليه السلام " ص٢٧-٤١) .وحاشية الشيخ زاده على البيضاوى(٢/٢٠٠)

(2) المسلاخ : الهدى والطريقة ما فى النهاية لابن الأثير مادة[سلخ]

أمر هام ، وهو :

أن سؤال الملائكة كان عن الكيفية ، ولم يكن الأمر مراجعة كما هو ظاهر السياقات الأخرى . ويُعَدُّ هذا من باب قول إبراهيم –عليه السلام – : (رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ)[البقرة:٢٦٠] ، فكما أرى المولى عزوجل إبراهيم الكيفية عياناً ، أرى الله تعالى ملائكته بياناً من أنفسهم .

– ويمكن الجواب عن الإشكال الثانى :

بما قاله بعض المفسرين : إن كوكب الزهرة قد كان ، ولكن الله تعالى مسخ هذه المرأة على شبه الكوكب فهى تعذب هناك . (١) .

– وذهب ابن حبان بعد إخراجه الحديث إلى أن : الزُهرة هذه امرأة كانت فى ذلك الزمان ، لا أنها الزهرة التى هى فى السماء التى هى من الخُنَّس .

وقد جاء ذلك صريحاً فى رواية ابن عباس ونصها :

" . . . وفى ذلك الزمان امرأة حُسْنُها فى النساء كحسن الزهرة فى سائر الكواكب " ، واعتبر ابن كثير هذا اللفظ أقرب ماروى فى شأن الزهرة (٢) .

ولعل ماقاله المفسرون وابن حبان يعطينا صورة متكاملة يمكن استنتاجها من معرفتنا بطبيعة كوكب الزهرة ، وأن نجد علاقة بين زهرة الأرض (المرأة) وزهرة السماء(الكوكب) ، فكوكب الزهرة ثانى كواكب المجموعة الشمسية من حيث قربه إلى الشمس ، وأما سبب تسميته بالزهرة فبحسب ماجاء فى لسان العرب : الزهرة ، هى الحسن والبياض ، والزهرة : البياض النير ، ومن هنا اسم كوكب الزهرة يعود إلى سطوع هذا

(١) تفسير بحر العلوم للسمرقندى(١/١٤٣)
(٢) تفسير ابن كثير(١/٥٢٥)

الكوكب من الكرة الأرضية . ويعتبر الزهرة كوكباً مرتفع الحرارة ، وأسخن كواكب المجموعة الشمسية ، ويشبه الأرض فى البراكين والزلال البركانية النشطة ، والخلاف الأساسى بينهما أن جوه حار جداً لايسمح للحياة فوقه . واكتشف أن الغلاف الجوى لهذا الكوكب يتكون من ثنائى أكسيد الكربون وحمض الكبريتيك والنيتروجين ، متوسط حرارته ٤٤٩درجة مئوية ، وتُعزى هذه الحرارة اللاهبة إلى الإحتباس الحرارى الذى يؤدى إلى الإحتراق الناتج عن كثافة الغاز الكربونى الذى يحيل هذا الكوكب – الذى تغنى بجماله القدماء– إلى جحيم لايطاق . (1) .

– ومن خلال هذا الذى نقلته نلاحظ اشتراك المرأة والكوكب فى الاسم وصفة الحسن ، والكوكب اشتدت حرارته ولايصلح للحياة ، فلا مانع أن يكون الله تعالى مسخ المرأة وجعل الكوكب موضعاً لها زيادة فى عقابها وعذابها ، وتكون النسبة إلى الكوكب نسبة حال ومكان لامكين . وكأن الله تعالى عاملها بنقيض قصدها ، حيث اتخذت من فعل المعصية وسيلة لتحقيق غرضها بالصعود إلى السماء ، فجعله الله تعالى صعوداً إلى هاويتها فى الدرك الأسفل من العذاب الدنيوى ، فى كوكب الفضاء لاهو فى الأرض ولاهو فى السماء . ولايمكن أن نجزم بهذا الاحتمال ، لكن هذا الافتراض لايمنع منه العقل .

– والشيخ أحمد شاكر لما طعن فى الخبر المرفوع من جهة العقل قال :

" إن الكوكب الذى نراه صغيراً فى عين الناظر ، قد يكون حجمه أضعاف حجم الكرة الأرضية بالآلاف المؤلفة من الأضعاف ، فأنى يكون جسم هذه المرأة الصغيرة إلى هذه الأجرام الفلكية الهائلة ؟! " .

---

(١) انظر موسوعة ويكيبيديا العربية [كوكب الزهرة]

لكن هذا المنطق العقلانى لايستقيم مع طلاقة القدرة الإلهية ، وأنه سبحانه لايعجزه أن يجعل الذرة فى أى حجم كانت ، وهو على كل شئ قدير .

– وأما الإشكال الثالث :

فيمكن الجواب عما وقع منهما مع عصمة الملائكة من الوقوع فى الذنوب بما قاله ابن كثير: ذهب كثير من السلف إلى أنهما كانا ملكين من السماء ، وكان من أمرهما ماكان ، وقد ورد فى ذلك حديث مرفوع رواه الإمام أحمد فى مسنده . . . وعلى هذا فيكون الجمع بين هذا وبين ماورد من الدلائل على عصمة الملائكة ، أن هذين سبق فى علم الله لهما هذا ، فيكون تخصيصاً لهما ، فلا تعارض حينئذ (١) .

–ونقل الشوكانى فى تفسيره قول القرطبى : إنه قول تدفعه الأصول فى الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه ، وسفراؤه إلى رسله ، لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون . ثم ذكره مامعناه : إن العقل يجوز وقوع ذلك منهم ، لكن وقوع هذا الجائز لايدرى إلا بالسمع ، ولم يصح " ، ثم تعقبه الشوكانى بقوله : هذا مجرد استبعاد ، وقد ورد الكتاب العزيز فى هذا الموضع بما تراه ، ولاوجه لإخراجه عن ظاهره بهذه التكلفات ، وماذكره من أن الأصول تدفع ذلك ، فعلى فرض وجود هذه الأصول ، فهى مخصصة بما وقع فى هذه القصة ، ولاوجه لمنع التخصيص ، وقد كان إبليس يملك المنزلة العظيمة ، وصار أشر البرية ، وأكفر العالمين)اهـ (٢)

–واستصوب الملا على القارى فى الجواب أن الكلام فى عصمة

(١) تفسير ابن كثير(٥٢٢/١) وهذا الجمع من ابن كثير بين عصمة الأنبياء وماورد فى الخبر يشى باضطراب موقفه من قبول الرواية وردها .
(2) تفسير فتح القدير(١٥٨/١)

الملائكة الكرام ، وهذان قد خرجا عن صفة الملائكية بإلقاء نعت البشرية من الشهوة النفسية عليهما ابتلاء لهما فى القضية . (1)

- وقال ابن حجر الهيتمى :

وأما ماوقع لهاروت وماروت ، كما صح عنه ﷺ فى شأنهما ، أنهما كانا من الملائكة ، وأنهما افتتنا بالزهرة ، وكانت أجمل نساء زمانها ، حتى زنيا بها وشربا الخمر ، وقتلا ، فمسخت كوكباً ؛ لأنهما علماها الاسم الأعظم الذى كانا يرقيان به إلى السماء ، فرقيت إليها ، فمسخت هذا الكوكب المضئ المعروف ، فذلك أمر خارق للعادة أوجده الله تأديباً للملائكة فى قولهم كما صح فى الحديث أيضاً عند خلق آدم (أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ)الآية ، فبين لهم تعالى أنه لو ركب فيهم ماركب فى الإنسان لأفسدوا أيضاً ، فتعجبوا ، فأمرهم أن يختاروا ففعلوا ، ونزل هاروت وماروت ، فوقع لهما ماوقع تأديباً لبقية الملائكة وزجراً لهم عن أن يخوضوا فيما لاعلم لهم به . وهذا الذى ذكرته من الجواب عن هذه القصة من أنها أمر خارق للعادة ، وبهذه الحكمة التى ذكرتها يتبين به الرد على من أطال فى إنكار قصتهما . . . وأن ذلك الوقوع لتلك الحكمة لايخل بعصمة الملائكة من حيث هى ، ولاينافيه شئ من الأدلة والقواعد ، فاحفظ ماقررته وتأمله ، فإن الكلام قد كثر فى هذا المحل ، وتعارضت فيه الآراء والظنون ، وماذكرته فيه هو الأوفق بالسنة ، وغير مناف للقواعد ، وإن لم أر من سبقنى إليه . (2)

- وأما الإشكال الرابع :

فيقال فيه : إن ماوقع من الملائكة من المخاطبة (أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن

(1) انظر شرح الشفا للملا على القارى بهامش نسيم الرياض للشهاب الخفاجى (٢٣١/٤)
(2) انظر : الزواجر (١٠٥/٢-١٠٦) الكبيرة العشرون بعد الثلاثمائة . والفتاوى الحديثية (ص٨٧-٨٨)

يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ . . .) الآية ، لم يكن الأمر منهم على سبيل الإعتراض أو المراجعة كما وصفها الشيخ الغمارى ، وإنما أجمع العلماء المحققون والمفسرون المعتبرون أن سؤالهم إنما هو سؤال استعلام واستكشاف الحكمة فى ذلك ، قال ابن كثير : قالت الملائكة سائلين على وجه الاستكشاف والاستعلام عن وجه الحكمة ، لا على وجه الاعتراض والتنقيص لبنى آدم والحسد لهم ، كما قد يتوهمه جهلة المفسرين . ([1]) .

- ويقول الخطيب الشربينى فى تفسيره :

وقصدهم استكشاف ماخفى عليهم من الحكمة التى بهرت تلك المفاسد وألغتها ، وليس باعتراض على الله تعالى ، ولاطعن فى بنى آدم على وجه الغيبة ، فإنهم أعلى من أن يظن بهم ذلك ؛ لقوله تعالى : (بَل عِبادٌ مُكرَمونَ ٢٦ لا يَسبِقونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلونَ ٢٧) [الأنبياء:٢٦]) اهـ([2]).

والأظهر أنهم قالوا ذلك تفرساً بحكم ماظهر لهم من صورته ونحو ذلك ، من إعلامهم بأنه يجمع فيه بين الشهوة والعقل ، ومن المعلوم أن الشهوة حاملة على الفساد ؛ وعلم سبحانه ماخفى عنهم ، من أن يوفق من أراد منهم للعمل بمقتضى العقل من غير منازع له ، فيظهر تمام القدرة ، والله اعلم . ([3])

وقيل : أعلمهم الله تعالى أن استعداد ملك الخلافة واستحقاقها ليس بكثرة الطاعات ولكنه مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن

---

(1) انظر : البداية والنهاية (١٦٥/١) ط: التركى
(2) انظر : تفسير السراج المنير(٤٤/١) والتفسير المنير للزحيلى(١٣٠/١)
(3) انظر : تفسير نظم الدرر للبقاعى(٨٨/١)

يشاء ([1]). وهذا التوجه من العلماء مبنى على الاستفهام الأول الذى صدر من الملائكة قبل خلق آدم ، فالاستفهام منهم أولاً ينسحب عليه الاستفهام الذى كان منهم ثانياً ، لاسيما بعد ماعاينوا وشاهدوا معاصى بنى آدم ، فصدر منهم ماصدر غضباً لربهم ، وغيرة على انتهاك حُرُماته ، وماجاء فى بعض سياقات القصة مما ظاهره المراجعة والاعتراض فلا يلتفت إليه ولايعول عليه ، ولايكن ذلك سبيلاً لنفى أصل القصة .

– وأما الإشكال الخامس :

فلا عبرة به ، فإن الخبر الذى جاء فيه سجودهم رواه ابن أبى حاتم(١٠١٥). وقال ابن كثير : هذا السياق فيه زيادات كثيرة ، وإغراب ونكارة " . والنص الصحيح فى القصة : " . . . فلما رأت أنهما قد أبيا أن يعبدا الصنم ، قالت لهم : . . . " الخ . وهى طريق أخرى لابن أبى حاتم والحاكم وصححها ووافقه الذهبى . وحسنها الحافظ ابن حجر ، واعتبر ابن كثير سياق هذه الطريق أقرب ماورد فى القصة وأقرب ماورد فى شأن الزهرة .

وأما الإشكال السادس :

فالإمام ابن العربى على الرغم من قوله بعدم صحة الخبر إلا أنه قال :ولايمتنع أن تقع المعصية من الملك ، ويوجد منه خلاف ماكلفوه ، وتخلق فيهم الشهوات ، فإنه لاينكر ذلك إلا جاهل لايدرى الجائز من المستحيل ، أو من شم ورد الفلاسفة القائلين بأن الملك روحانى بسيط لاتركيب فيه ، وشهوة الطعام والشراب لاتكون إلا فى مركب . وهذا تحكم أخبروا عن كيفية لم يروها ، ولانقلت إليهم ، ولادل العقل عليها ، وأما ماأخبر الله به عنهم (يُسَبِّحونَ اللَّيلَ وَالنَّهارَ لا يَفتُرونَ ٢٠) [الأنبياء:٢٠]،

(4) انظر : تفسير روح البيان لاسماعيل حقى(٧٧/١)

وأنهم (وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦)[التحريم:٦] فهو خبر صدق وحق ، ولكنه إخبار عن حالهم . (١) . وقد انتهى ابن حجر بعد عرضه لأقوال المنكرين للقصة ، والطاعنين فى أسانيدها إلى القول : " فى طرق هذه القصة القوى والضعيف ، ولاسبيل إلى رد الجميع ، فإنه ينادى على من أطلقه بقلة الإطلاع ، والإقدام على رد مالايعلمه ، لكن الأولى أن ينظر إلى مااختلف فيه بالزيادة والنقص ، فيؤخذ بما اجتمعت عليه ، ويؤخذ من المختلف ماقوى ، ويطرح ماضعف أو مااضطراب ، فإن الإضطراب إذا بَعُدَ به الجمع بين المختلف ولم يترجح شئ منه التحق بالضعيف المردود ، والله المستعان . (٢)

وهذا كلام رجل محقق مدقق ممحص ، لاينفى جملة ولايقبل جملة ، كما فعل غيره ممن أنكروا القصة ، فأكثر من وقفت على كلامهم من العلماء والباحثين المعاصرين بنوا إنكارهم واعتراضهم على القصة برمتها من خلال بعض الإشكالات التى وجهت إلى القصة ، وناقشها العلماء ووجهوها ، أو الطعن فى بعض أسانيدها ، دون النظر إلى كل طرقها ، وهذا اختزال مخل بالبحث العلمى ، والموضوعية التى ينبغى أن يتحلى بها من ينشد الحق ويبغى الصواب . مع الاحتكام إلى القواعد العلمية المقررة فى هذا المجال .

(١) انظر : أحكام القرآن(٤٧/١)
(٢) انظر : العجاب فى بيان الأسباب(٣٣٢/١-٣٤٣)

خلاصة الكلام فى هذا المقام .

ومانتهى إليه الحافظ ابن حجر أُراه أولى بالقبول ، وأقرب إلى الصواب ، لاسيما أن ماقاله المنكرون للقصة من جهة النقل يُسَلَّم لهم فى بعض طرق القصة ، وماستنكروه يقبل منهم فى سياقات ومتون بعض القصة ، وماأوردوه من إشكالات واعتراضات على القصة من جهة العقل ومعارضتها ، فغير مسلَّم لهم فيها ؛ حيث تجرد كثير من العلماء المثبتين للقصة إلى توجيه الإشكالات أو دفع الإعتراضات ، كما أوضحت ذلك من خلال نصوصهم المنقولة فى هذا البحث ، فيبقى ثبوت أصل القصة مشذبة مما يستغرب ، ومنتقاة ممايستبشع ، خاصة وأن الملاحظ فى جلِّ ماوجه للقصة من غمز ونكارة كان موجها إلى رواية موسى بن جبير عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً ، ولم يتعرضوا للسياق الآخر الذى انفرد بروايته البيهقى من طريق موسى بن جبير عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه مرفوعاً ، فسياق هذه الطريق فيه أوجه من التباين مع السياق الآخر ، يسقط معه جملة من الإعتراضات التى وجهت إلى القصة . فجملة الروايات المرفوعة والموقوفة تثبت أصل القصة على الإجمال دون التفصيل المتباين فى سياق الروايات ، وهو ماتوصل إليه الحافظ ابن حجر أن الواقف على مجموع الروايات يكاد يقطع بثبوت أصل القصة ، وابن حجر هو من هو فى الصنعة الحديثية والتمحيص للروايات ، وليس من الموضوعية العلمية أن ننسب كل ماهو من قبيل القصص الغريبة على الأسماع إلى أهل الكتاب وثقافاتهم ، ونرده بناء على هذا الزعم ، لاسيما أن من يتأمل فى الأخبار التى أوردتها فى البحث يرى أن فى سياقاتها قواسم مشتركة ، وتوافقاً كبيراً ، على قدر يثبت أصل القصة ، ونجمل هذا القدر فى النقاط التالية :

١-أن هاروت وماروت من الملائكة .

٢- أنهما كانا يعلمان الناس السحر بأمر الله تعالى لهما ، فتنة لعباد الله امتحاناً وابتلاء. ولله تعالى أن يمتحن من عباده من شاء بما شاء .

٣-أنهما وقعا فى المعصية -بعدما رُكِّبت فيهما شهوةبنى آدم - بقدر الله تعالى السابق فى علمه امتحاناً وابتلاء .

٤-أنه وقع لهما ماوقع تأديباً لبقية الملائكة وزجراً لهم عن أن يخوضوا فيما لاعلم لهم به .

٥- أن ماوقع لهما بسبب افتتانهما بالزهرة ، وكشفهما لها عن اسم الله الأعظم دون أن يقع منهما قتل أو زنى ، أو شرب خمر ، فضلاً عن عبادة الوثن .

٦-أن رد الروايات بعد صحتها ليس من دأب أهل التحصيل ، كما لاينبغى ردها بزعم عدم احتمالها عقلاً ؛ لأن الإحتمالات العقلية لامدخل لهافى الأمور النقلية بعد صحتها ([1])، فكم من أمور غريبة لولا صحتها فى النقل ماقبلها العقل ، أسمعت عما رواه البخارى عن عمرو بن ميمون قال : رأيت فى الجاهلية قِرْدَة اجتمع عليها قِرَدَة قد زنت ، فرجموها ، فرجمتها معهم ".([2])

وفى النهاية يبقى رأيى هذ الذى جاء موافقاً للحافظ ابن حجر ومن لف

(١) انظر : فتح البارى(١٩٣/١)

(٢) البخارى كتاب مناقب الأنصار (٣٨٤٧) وقد استنكر بعضهم قصة عمرو بن ميمون هذه ، وقال : فيها إضافة الزنا إلى غير مكلف ، وإقامت الحد على البهائم ، وهذا منكر عند أهل العلم ، قال : فإن كانت الطريق صحيحة فلعل هؤلاء كانوا من الجن ؛ لأنهم من جملة المكلفين . وعلق ابن حجر على هذا بقوله : وإنما قال ذلك ؛ لأنه تكلم على الطريق التى أخرجها الإسماعيلى فحسب – وهى ضعيفة - ، وأجيب : بأنه لايلزم من كون صورة الواقعة صورة الزنا والرجم أن يكون ذلك زنا حقيقة ولاحدا ، وإنما أطلق ذلك عليه لشبهه به ، فلا يستلزم ذلك إيقاع التكليف على الحيوان . فتح البارى(١٦٠/٧)

لفيفه من العلماء المثبتين لأصل القصة . مجرد رأى اجتهدت فى استخلاصه بعد عرض حجج المثبتين والمنكرين للقصة ، فإن كنت أصبت فيه فالحمد لله ، وإن كانت الأخرى ، فحسبى أننى اجتهدت ، والحق أردت والخير قصدت ، وماتوفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

دروس مستخلصة من قصة هاروت وماروت .

١- فى هذه القصة إشارة إلى أنه لايجوز الاعتماد إلا على فضل الله ورحمته ، فإن العصمة من آثار حفظ الله تعالى . ([1]) .

٢- وفى هذا من العبرة الخشية من سوء العاقبة والخاتمة ، وعدم الثقة بظاهر الحالة ، والخوف من مكر الله تعالى ، فهذا بلعام فى الآدميين ، كهاروت وماروت فى الملائكة المقربين ، فأنزلوا كل فن فى مرتبة ، وحققوا مقداره فى درجته ([2]) .

٣- الصحابة أفقه وأورع وأحرص على الدين من كل من جاء بعدهم واستن بسنتهم . فدفع القصة برمتها بحجة أنها إسرائيلية وفيها مالايليق بالملائكة ، حجة تحتاج إلى مراجعة فى التفكير والتقرير ؛ لأن الصحابة الذين رووا القصة أعلم من غيرهم بمايليق بالملائكة .

٤- السحر عمل يؤثر على عقيدة ممارسه ؛ لأنه يؤدى إلى الكفر ، لذا كانت النصيحة المشددة للملكين (إنما نحن فتنة فلا تكفر) قبل البدء فى التعليم . لكن يلاحظ أنه بعد أن تؤدى النصيحة ويتم التحذير يتم تعليم ألوان من السحر وعلى وجه الخصوص الكيفية التى يتم بها التفريق بين المرء وزوجه ؛ وهذا لأن التفريق بين الأزواج من أهم مقاصد السحر والسحرة ، فحيث تكون المودة والرحمة والسكينة يكون الخير . . ومالسحر إلا محض شر

٥- والمستفاد من جميع ذلك أن للسحر تأثيراً فى نفسه ولكنه لايؤثر ضرراً إلا فيمن أذن الله بتأثيره فيه ، وقد أجمع أهل العلم على أن له تأثيراً فى نفسه وحقيقة ثابتة ولم يخالف فى ذلك إلا المعتزلة وأبو حنيفة ([3]).

---

(١) تفسير لإسماعيل حقى روح البيان(١٥٢/١)
(٢) أحكام القرآن لابن العربى(٤٨/١)
(3) تفسير فتح القدير للشوكانى(١٨٦/١)

٦- ومن الدروس فى الآية : أن السحر يمكن التوصل به إلى المفاسد والمعاصى ، فلاينبغى للإنسان بعد الوقوف عليه أن يستعمله فيما نهى الله عنه ، أو يتوصل به إلى شئ من الأغراض العاجلة . (١).

٧- وفى الآية إيماء إلى أن تعلم السحر ، وكل مالايجوز اتباعه ، والعمل به ليس محظوراً ، وإنما الذى يحظر ويمنع هو العمل به فحسب . (٢).

٨- أن السحر أمر خارق للعادة ، من نفسٍ شريرة خبيثة ، بمباشرة أعمال مخصوصة ، يجرى فيها التعلم والتعليم ، وبهذين الاعتبارين يفارق المعجزة والكرامة ؛ وذلك لأن المعجزة : أمر خارق للعادة يظهر على يد من يدعى النبوة والرسالة عند رد الملحدة ، والكرامة : أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد من عباد الله الصالحين . (٣) .

٩- أن الابتلاء من سنن الله لعباده ؛ لينظر كيف يعملون ، قال تعالى : (وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥)[الأنبياء:٣٥] . (وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠)[الفرقان:٢٠] ، ولقد مضى فى تاريخ البشرية من الآيات والإبتلاءات مايناسب حالتها وإدراكها فى كل طور من أطوارها ، فإذا جاء الإختبار فى صورة ملَكين ، فليس هذا غريباً ولاشاذاً بالقياس إلى شتى الصور وشتى الإبتلاءات الخارقة ، التى مرت بها البشرية . (٤)

١٠- وفى الروايات دليل على إباحة التحديث عن بنى إسرائيل وكذا

(1) تفسير حدائق الروح والريحان(٢/١٤٥)
(2) تفسير المراغى(١/١٧٤)
(3) تفسير حدائق الروح والريحان(٢/١٤٧)
(4) انظر " فى ظلال القرآن " (١/٢٦٠) بتلخيص

غيرهم من الأمم ، للتحذير مما عصوا فيه . (1)

١١- وفيها من الدروس بيان سعة عفو الله تعالى وعدم اليأس من رحمته .

١٢- وفيها بيان بشاعة الخمر – على فرض صحة السياق الوارد فى ذلك – فإنها مفتاح كل شر ، وهى أعظم الكبائر كما ثبت فى الحديث(2)

(5) انظر . فتح البارى(١٠/٣٧٧)

(1) اللفظ الأول رواه الحاكم(١٤٥/٣) والبيهقى(٥٥٨٨) من حديث ابن عباس مرفوعاً ، واللفظ الثانى رواه الحاكم(١٤٧/٤) من حديث ابن عمر وانظر رواية ابن أبى الدنيا فى " ذم الخمر " رقم(١) والبيهقى(٥٥٨٦) عن عثمان مرفوعاً، ورواه عبد الرزاق(١٠٦٠) موقوفاً ، وقال ابن كثر : الموقوف أصح

خاتمة البحث .

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين .. سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد :

فمن خلال هذه القضية المتعلقة بقصة هاروت وماروت تجلت حقائق وظهرت نتائج ، يمكن أن نجملها فى النقاط التالية :

١- فى بعض سياقات قصة هاروت وماروت زيادات كثيرة ، وإغراب ونكارة ، لكن من يجمع الروايات يرى فيها قدراً كبيراً متفقاً عليه فى سياقاتها ، يمكن أن يعطينا صورة مقبولة تثبت بها أصل القصة .

٢- أن أصل السحر من الشياطين ، وأن اليهود كانوا حلقة الوصل فى نشر السحر وسط البشر ، وقد جاء فى الاصحاح الحادى عشر من سفر الملوك : أن السحرة هم الذين أقاموا ملك سليمان ، وأن سليمان ارتد وكفر ، فأخذوا يذكرون هذا السحر !! . وذلك لأن الذين يضلون دائماً عن الحق يتبعون أوهاماً لاأساس لها من المنطق ولا من العقل . ([1]) .

٣- أن التعبير بالمضارع فى قوله تعالى(واتبعوا ماتتلوا الشياطين)إشارة إلى كثرة السحر وفشوه واستمراره زمن ملك سليمان ، وهو كفر من حيث إن حقيقته أمر يبطل بذكر اسم الله ، ويظهر أثره فيما قصر عليه من التخييل والتمريض ونحوه ، بالاقتصار به من دون اسم الله الذى هو كفر . قال البقاعى : وكأن السحر كان فى تلك الأيام ظاهراً عالياً على مايفهمه التعبير بعلى ، وأحسن من هذا أن يضمن (تتلوا) تكذب ، فيكون التقدير : تتلوا كذباً على ملكه . ([2]) .

(١) تفسير زهرة التفاسير لأبى زهرة(٣٣٧/١) وماورد فى سفر الملوك من ارتداد وكفر نبى الله سليمان -عليه السلام-كذب وافتراء أدحضه القرآن بقوله :(وماكفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) .
(2) تفسير نظم الدرر للبقاعى(٢٠٥/١)

٤- والجمهور على فتح تاء هاروت وماروت ، وهما بناء على فتح لام الملكين بدل منهما . . . وهو الصحيح للقراءة المتواترة وللتصريح به فى الحديث . فالملكين كانا من الملائكة وليسا من البشر ولاداود وسليمان ، وهو مارجحه الطبرى وجمهور المفسرين ، كما أنهما لم يكونا من ملوك الجن كما ادعاه ابن حزم ، وضعفه ابن حجر وغيره .

٥- التاريخ لم يذكر أبدا وجود ملِكين بهذين الاسمين قد حكما بابل فى أى عصر من العصور ،وهذا يتنافى مع كونهما بشرا ، ولو كانا بشرا لطبقت شهرتهما الآفاق ؛ كونهما أول من علم الناس السحر ، ولذكرهما التاريخ

٦- أول مكان انتشر فيه السحر هو بابل ، وهذا يتوافق مع الدراسات التاريخية .

٧- السحر مما قد نهى الله تعالى عباده من بنى آدم عنه ، فغير منكر أن يكون -جل ثناؤه- علَّمه الملكين اللذين سماهما فى تنزيله ، وجعلهما فتنة لعباده من بنى آدم كما أخبر عنهما أنهما يقولان لمن يتعلم ذلك منهما :(إنما نحن فتنة فلا تكفر) ؛ ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه ، وعن السحر ، فيمحص المؤمن بتركه التعلُّم منهما ، ويخزىَ الكافرَ بتعلُّمه السحر منهما . ويكون الملكان -فى تعلمهما من علَّما ذلك – لله مطيعين ، إذ كانا عن إذن الله لهما بتعليم ذلك من علماه . (1) .

(1) انظر تفسير الطبرى(٤٢٦/٢)

أهم مصادر البحث

م	الكتاب	المؤلف	الطبعة
١	أحكام القرآن	أبو بكر بن العربى	الرسالة
٢	البحر المحيط	أبو حيان الأندلسى	دار الكتب العلمية
٣	التحرير والتنوير	محمد الطاهر بن عاشور	الدار التونسية
٤	تفسيرالقرآن العظيم	عماد الدين بن كثير	مؤسسة قرطبة
٥	تفسير المنار	محمد رشيد رضا	الهيئةالعامة للكتاب
٦	جامع البيان في تأويل القرآن	محمد بن جرير الطبري	دار المعرفة – والمعارف
٧	الجامع لأحكام القرآن	أبو عبد الله القرطبي	مركز هجر للبحوث
٨	الدر المنثور في التفسير المأثور	جلال الدين السيوطي	مركز هجر للبحوث
٩	روح البيان فى تفسير القرآن	اسماعيل حقى	
١٠	الزواجر عن اقتراف الكبائر	ابن حجر الهيتمى	دار الحديث
١١	السلسلة الضعيفة	ناصر الدين الألبانى	مكتبة المعارف الرياض
١٢	الشفا فى التعريف بحقوق المصطفى	للقاضى عياض	دار الفكر
١٣	العجاب فى بيان ال	الحافظ ابن حجر العسقلاني	دار ابن الجوزى

١٤	فتح البارى	الحافظ ابن حجر العسقلاني	السلفية
١٥	فتح القدير فى علم التفسير	محمد بن على الشوكانى	دار المعرفة
١٦	في ظلال القرآن	سيد قطب	دار الشروق
١٧	كشف الخفا ومزيل الإلباس	العجلونى	دار الحديث
١٨	لباب التأويل فى معانى التنزيل	علاء الدين الخازن	حسن حلمى الكتبى
١٩	محاسن التأويل	محمد جمال الدين القاسمى	عيسى البابى الحلبى
٢٥	المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب	عبد الحق بن عطية الأندلسى	دار الكتب العلمية
٢٦	مسند الإمام أحمد	تحقيق الشيخ أحمد شاكر	
٢٧	مفاتيح الغيب فى التفسير	فخر الدين الرازى	دار الفكر
٢٨	نسيم الرياض فى شرح الشفا لعياض	الملا على القارى	عيسى الحلبى
٢٩	نظم الدرر	برهان الدين البقاعى	دار ابن تيمية

فهرس الموضوعات